

الرسائل المصطفية في الرسالة المحمدية

تحتوي على:

العلم الظاهر في النسب الطاهر

للعلامة محمد أمين بن عابدين المتوفى سنة ١٢٥٢ هـ

ويليه

الدلالة على عموم الرسالة

ويليه

التعظيم والمنة في «لتؤمنن به ولتنصرنه»

كلاهما للإمام العلامة تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ

ويليه

تزيين الأرائك في إرسال النبي ﷺ إلى الملائك

للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ

جمعها ورتبها وخرج آياتها وأحاديثها

الشيخ علي أسعد رباجي

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت لبنان

الرسائل المصطفية في الرسالة المحمدية

تحتوي على:

العلم الظاهر في النسب الطاهر

للعلامة محمد أمين بن عابدين المتوفى سنة ١٢٥٢ هـ

وبليه

الدلالة على عموم الرسالة

وبليه

التعظيم والمنة في «لتؤمنن به ولتنصرنه»

كلاهما للإمام العلامة تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ

وبليه

تزيين الأرائك في إرسال النبي ﷺ إلى الملائك

للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ

جمعها ورتبها وخرج آياتها وأحاديثها

الشيخ علي أسعد رباجي

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٥ م - ١٤٢٦ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-4728-5



http://www.al-ilmiyah.com/

email: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

قال مالك بن قيس رضي الله تعالى عنه:

لمّـــا رأيـــتُ الـــنّاسَ في الـــدِّين نافقُوا ... أتـــيتُ الـــتي كانـــت أَعَـــفَّ وأكْرَما

وبايعـــت بالـــيمنى يَـــدِي لمحمّـــدٍ ... فلـــم أكْتَســـب إثمـــاً ولم أغْش مَحْرَما

تـــركت خَضَـــيباً في العـــريش وصِرْمةً ... صَـــفايا كِـــراماً بُسْـــرها قـــد تَحَمّما

وكـــنت إذا شـــكّ المـــنافق أسْمَحَت ... إلى الـــدّين نفســـي شطْرَه حيث يَمَّما

دلائل النبوة (٥/٢٢٣)

خطب الحسن بن علي رضي الله تعالى عنه الناس فقال:

يا أيها الناس، لقد فارقكم أمس رجل ما سبقه الأولون، ولا يدركه الآخرون، لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه المبعث، فيعطيه الراية، فما يرجع حتى يفتح الله عليه، جبريل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، ما ترك بيضاء ولا صفراء إلا سبع مائة درهم فَضَلَت من عطائه أراد أن يشتري بها خادما.

صحيح ابن حبان (٦٩٣٦)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدّمة

الحمد لله الذي جعل الأنساب لآدم، وفَضَّل بعضها على بعض، وجعل أكرمها أتقاها، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد الذي امتازت رسالته عن جميع الرسالات، والذي فُضِّل وأرسل إلى أهل الأرض والسّموات، الذين أُخِذ عليهم العهد بالإيمان به ونُصْرته وأقرّوا بالأقوال والأفعال، وبعد:

فهذه أربع رسائل في الرّسالة المحمّديّة العظيمة، سميتها بـــ: **الرّسائل المصطفيّة في الرّسالة المحمّديّة**، أقدّمها لأهل العلم والقرّاء الأكارم، حيث اعتنيت بها أتمّ عنايةٍ من تصحيحٍ وضبطٍ للألفاظ، وزِدْت بعض الفوائد المهمّة، والتّعليقات والتّصحيحات الأنيقة الفائقة، حيث لزم الأمر.

إذ هي لجهابذةٍ من أهل العلم والتّحقيق والتّدقيق، الذين بلغوا القَنْطرة وحازوا القَدَح المُعَلّى والمقام الأعلى في العلم.

وإليك الرّسائل:

الرّسالة الأُولى: العَلم الظّاهر في نفع النّسب الطّاهر، لخاتمة المحقّقين محمد أمين بن عابدين رحمه الله تعالى.

أورد فيها الإمام رحمه الله تعالى أدلة الفريقين، ووصل إلى أن كل من انتسب إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فإن نسبه الشريف نافع له.

وهي تدلّ على طول باعِه وسَعَة علمه وإنصافه، حيث قدّم دليل المخالف، ثمّ ذكر دليل المثْبِت، وردّ على المخالف، وأثبت نفعه صلّى الله عليه وسلّم لكلّ من انتسب إليه من أهل بيته ممّن مات على الإسلام.

جَمَعْت من الأدلّة من الكتاب والسُّنّة والمعقول والرّدود والافتراضات الكثير.

وقد أوْضح الإمام رحمه الله تعالى سبب تأليفه لهذه الرّسالة حيث قال: وقع البحث في مجلسٍ لطيفٍ جامعٍ لجملةٍ من أهل العلم الشّريف في أنّ مَن كان صحيح النّسبة من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم هل ينفعه نَسَبُه في الآخرة بدخول الجنّة والنّجاة من النّار وإن كان من العاصين، أم يحكم الله فيه بعدله ويكون مُفَوَّضاً إلى مشيئته كغيره من المذنبين؟.

وقد طبعت هذه الرّسالة بدار عالم الكتب بيروت، ضمن رسائله المكوّنة من مجلّدَيْن المسمّاة بـــ: رسائل ابن عابدين، وهي الرّسالة الأُولى.

الرّسالة الثّانية: الدّلالة على عموم الرّسالة، للإمام تقيّ الدّين السُّبْكي رحمه الله تعالى.

تكلّم فيها رحمه الله تعالى عن إرساله صلّى الله تعالى عليه وسلّم رسولاً إلى الإنس والجنّ.

وهي عبارة عن سؤالٍ طويلٍ قسّمه إلى أسئلةٍ حيث قال: أرى أن أذكر السّؤال كلّه مستوفى، لـٰـكن أقطّعه فأذكر كلّ قطعةٍ منه وجوابها ليحصل بذلك استيعاب كلام السّائل وجوابه.

جَمَعَتْ من الأدلة من الكتاب والسّنّة والإجماع والمعقول واللّطائف الكثير، وردّ فيها على السّائل والمخالف، وردّ على الافتراضات كذلك.

وتَوَصّل إلى انعقاد الإجماع بالكتاب والسّنّة والقياس إلى إرساله صلّى الله تعالى عليه وسلّم رسولاً إلى الإنس والجنّ.

وقد أوْضَح الإمام رحمه الله تعالى سبب تأليفه الرسالة، وأنها ورَدَتْ إليه من طرابلس الشّام (لبنان)، وهو بالقاهرة (مصر) سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة.

وقد طُبِعت هذه الرّسالة بدار المعرفة بيروت، ضمن كتابه المؤلّف من مجلّدَيْن المسمّى بـــ: فتاوى السُّبْكي، وهي الرّسالة الثامنة عشر.

الرّسالة الثّالثة: التّعظيم والمِنَّة في لَتُؤمِنُنَّ به ولَتَنْصُرُنّه، للإمام تقيّ الدّين السُّبْكي رحمه الله تعالى.

رسالةٌ لطيفةٌ، صغيرة الحجم دقيقة اللّفظ، تكلّم فيها الإمام السّبكي رحمه الله تعالى عن إرساله صلّى الله تعالى عليه وسلّم رسولاً إلى الأنبياء.

جَمَعَتْ من الأدلّة من الكتاب والسّنّة والمعقول واللّطائف والرّدود والافتراضات الكثير.

وتَوَصّل إلى أنّ النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم رسولٌ إلى الأنبياء، من لَدُن آدم إلى عيسى ابن مريم عليهم السّلام، وأنّ مَن كان حياً منهم في مدّة حياته وجب عليه الإيمان به واتّباعه ونُصْرته، وأخذ الله العهد عليهم بذلك، وأقرّوا من غير أن ينتقص من نبوّتهم شيء، وعلى هذا ينزل عيسى في آخر الزمان بشرع النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم.

وقد ذكر رحمه الله تعالى سبب تأليفه لهذه الرّسالة فقال: حصل البحث في تفسير قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ).

وقد طُبعت هذه الرّسالة بدار المعرفة بيروت، ضمن كتابه المؤلّف من مجلّدين المسمّى بـــ: فتاوى السّبكي، وهي الرّسالة الأولى.

الرّسالة الرّابعة: تزْيين الأرائك في إرسال النّبيّ إلى الملائك للإمام السّيوطي رحمه الله تعالى.

تكلّم فيها الإمام السّيوطي رحمه الله تعالى عن إرساله صلّى الله تعالى عليه وسلّم إلى الملائكة.

هي عبارةٌ عن أسئلةٍ ورَدَت على الإمام رحمه الله تعالى وردّ عليها.

جَمَعَتْ من الأدلّة: من الكتاب والسّنّة والمعقول واللّطائف وردّ على السّائل والمخالف والافتراضات.

وقد تَوَصّل رحمه الله تعالى إلى أنه صلّى الله تعالى عليه وسلّم رسول إلى الملائكة وأنهم مكلفين بشريعته تشريفاً وتكليفاً.

طُبعت هذه الرّسالة بدار الكتب العلميّة بيروت، سنة ١٤٢١ هـــ الطّبعة الأُولى، ضمن كتابه المؤلّف من مجلّدين المسمّى بـــ: الحاوي للفتاوي، وهي الرّسالة السّتّون.

عملي في هذه الرّسائل:

١- صححت الأخطاء الإملائية.

٢- خَرّجْت الآيات الكريمة.

٣- خَرّجْت الأحاديث النّبويّة الشّريفة، واقتصرت في تخريج الأحاديث التي أخرجها البخاري ومسلم وغيرهما عليهما فقط أو أحدهما، وما لم يخرجوه في صحيحهما خرجته من كتب السنن الأخرى.

٤- وَثّقْت النّصوص وعَزَوْتها إلى مصادرها.

٥- ضَبَطْت النّص وشَكّلْته.

٦- وضَعْت علامات التّرقيم.

٧- وضَعْت ترجمة لكلّ من أصحاب الرّسائل.

٨- وضَعْت فهرسةً شاملةً لموضوعات الرّسائل.

وكتبه

الشيخ علي أسعد رباجي

تَلْ إنْدِي - عكار

٢٨/ ٩/ ٢٠٠٣

الرسالة الأولى

العلم الظاهر في النسب الطاهر

للعلامة محمد أمين بن عابدين

المتوفى سنة ١٢٥٢ هـ

خرج آياتها وأحاديثها

الشيخ علي أسعد رباجي



ترجمة العلاّمة ابن عابدين

اسمه ونسبه:

هو العالم العلاّمة، القُدْوَة الفَهَّامَة، الحَسِيب النَّسِيب، الجامع بين شرفَيْ العِلم والنّسب، السّيّد محمّد أمين بن عمر بن عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرّحيم، المتّصِل نسبه الشّريف إلى سيِّدنا الحسين، سِبْط سيّد المرسلين صلّى الله عليه وسلّم وشرّف وكرّم وعظّم.

مولده ونشأته:

ولد بدمشق الشّام سنة ثمانٍ وتسعين ومائة وألف، ونشأ في حُجر والده، وحفظ القرآن المجيد وهو صغيرٌ جداً، ثمّ اشتغل بطلب العلم مع الاجتهاد في التّحصيل، حتّى تَفَنَّنَ وأفتى ودرّس وألّف التّآليف العديدة وصنّف الكتب المفيدة.

كتاباته:

له كتابات على المطوّل، ومجموع كبير جمع فيه من نفائس الفوائد النّثرية والشّعرية، وعرائس النُّكات والمِلَح الأدبية، ما يروق النّاظر ويَسرّ الخاطر.

له رسائل عديدة ناهزت الثّلاثين من كلّ فنٍّ.

وأما تعاليقه على هوامش الكتب وحواشيها، وكتابته على أسئلة المستفتين والأوراق التي سوّدها بالمباحث الرّائقة والدّقائق الفائقة فلا تكاد تُحصى ولا يمكن أن تُستقصى.

عباداته:

وبالجملة فكان شُغله من الدّنيا التّعلم والتّعليم، والتّفهم والتّفهيم، والإقبال على مولاه، والسّعي في اكتساب رضاه، مقسّماً زمنه على أنواع الطّاعة والعبادة، من صيامٍ وقيامٍ وتدريسٍ وإفتاءٍ وتأليفٍ وإفادةٍ.

إفتاءاته:

كانت تَرِد إليه الأسئلة من غالب البلاد، وانتفع به خلق كثير من حاضرٍ وباد.

وفاته:

تُوفّي ضَحْوَةَ يوم الأربعاء، الحادي والعشرين من ربيع الثّاني سنة اثنتين وخمسين ومائتين بعد الألف، مِن هجرة مَن خلقه الله على أكمل وصْف صلّى الله وسلّم عليه وعلى آله والنّاسِجين على مِنْواله.

ودُفن رحمه الله بِمَقْبُرة دمشق في باب الصّغير بالتّربة الفَوْقَانِيَّة.

لا زالت سحائب الرّحمة تَبُلّ ثَراه في البُكْرَة والعَشِيَّة آمين[1].

---

(١) اختصرت الترجمة من كتابه العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

العَلم الظّاهر في نفع النّسب الطّاهر

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله تعالى وسلّم على أفضل خلقه أجمعين، وعلى آله وصحابته وذرِّيته الطّاهرين، ومَن حافظ على تِباع شريعته واقتفاء آثاره وسنّته وكان لهديه من التّابعين، ولم يتَّكل على نسبٍ أو عملٍ بل كان من الله على خوف ووَجَلٍ فكان من النّاجين، وبعد:

فيقول أسير الذّنوب والخطايا المفتقِر إلى رحمة ربّ العالمين محمّد أمين ابن عمر الشّهير بابن عابدين غفر الله له ولوالديه آمين:

قد وقع البحث في مجلسٍ لطيفٍ جامعٍ لجملةٍ من أهل العلم الشّريف: في أنّ مَن كان صحيح النّسبة من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم هل ينفعه نَسَبُه في الآخرة بدخول الجنّة والنّجاة من النّار وإن كان من العاصين أم يحكم الله فيه بعدله ويكون مُفَوَّضاً إلى مشيئته كغيره من المذنبين؟.

فبعضهم أثبت النّفع وبعضهم نفاه، وكلّ منهم استدلّ بأشياءٍ على مدّعاه، فطلب منيّ تحرير هذا البحث بعض فضلاء مَن كان في ذلك المجلس المعقود، وأحضر لي كتاباً في فضائل أهل البيت ذوي الفضل المشْهُود، تصنيف شيخه الشّيخ العلاّمة الحسيب النّسيب السّيّد أحمد الشّهير بِجَمَل اللّيل المَدَني، فيه ما يظهر منه المقصود، فانتخبت منه ما أذكره من الأحاديث النّبويّة على قائلها ألف صلاةٍ وسلامٍ وأزكى تحيّة، وجمعت منه ما يشهد لكلٍّ من الفريقين، وضممت إليه ما صار به الصّواب بِمَرْأى من العين، وسمّيت ذلك بـــ: **العَلم الظّاهر في نفع النّسب الطّاهر**.

فأقول مستمداً من المَلِك المعبود وليّ الخير والجُود:

ممّا يشهد للنّافي: قوله تعالى: (فإذا نفخ في الصّور فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون)[١].

قال قاضي المفسّرين: فلا أنساب بينهم تنفعهم لزوال التّعاطف والتّراحم لِفَرْط الحِيرة واستيلاء الدّهشة، بحيث يَفِرّ المرء من أخيه، وأمّه وأبيه، وصاحبته وبَنِيه، أو يفتخرون بها انتهى.

والثّاني: قريبٌ من الأوّل؛ لأنّ من أسباب عدم الافتخار انتفاء النّفع في تلك الدّار، وقوله تعالى: (إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم)[٢][٣].

وأمّا الأحاديث: فقد أخرج الإمام أحمد رحمه الله: عن أبي نَضْرَة قال: حدّثني مَن شهد خُطبة النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم بِمِنَى، وهو على بعيرٍ يقول: «يا أيّها النّاس إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، لا فضل لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لأسود على أحمر إلا بالتّقوى، خيركم عند الله أتقاكم»[٤].

وأخرج مسلم في صحيحه: عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: «لمّا نزلت هذه الآية: (وأَنْذِر عشيرتك الأقربين)[٥] دعا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قريشاً، فاجتمعوا فَعَمَّ وخصَّ فقال: يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النّار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النّار، يا بني عبد المطّلب أنقذوا أنفسكم من النّار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النّار، فإنّي لا أمْلِك لكم من الله شيئاً غير أنّ لكم رَحْماً سَأَبُلُّها بِبَلالِها»[٦]. يعني: أصلها بِصِلَتِها.

---

(١) المؤمنون الآية (١٠١).

(٢) الحجرات الآية (١٣).

(٣) انظر التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب للإمام الرازي (٢٣/١٠٦).

(٤) أخرجه أحمد في كتاب باقي مسند الأنصار باب حديث رجل من أصحاب النبي (٢٢٣٩١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٢٦٦) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٥) الشعراء الآية (٢١٤).

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب في قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين) (٣٠٣).

وأخرجه البخاري بدون الاشتثناء[١].

وأخرج أبو الشّيخ: عن ثَوْبان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «يا بني هاشم لا يأْتِيَنَّ النّاس يوم القيامة بالآخرة يحملونها على صدورهم، وتأتوني بالدّنيا على ظهوركم، لا أُغْني عنكم من الله شيئاً»[٢].

وأخرج البخاري في الأدب المُفْرَد، وابن أبي الدّنيا: عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «إنّ أوليائي يوم القيامة المتّقون، وإن كان نسبٌ أقرب من نسبٍ لا يأتي النّاس بالأعمال، وتأتون بالدّنيا تحملونها على رقابكم فتقولون: يا محمّد، فأقول: هكذا وهكذا، وأَعْرَض في كِلاَ عَطِفَيْه»[٣].

وأخرج الطبراني: عن معاذ رضي الله تعالى عنه: «أنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم لمّا بعثه إلى اليمن خرج معه يوصيه، ثمّ التفت إلى المدينة فقال: إنّ أوليائي منكم المتّقون مَن كانوا وحيث كانوا»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب (٢٠٤٨)، وفي تفسير القرآن باب (وأنذر عشيرتك الأقربين) (٤٣٩٨)، ومسلم في كتاب الإيمان باب في قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين) (٣٠٣).

(٢) أخرج الطبراني في الكبير (٣٥٤)، والديلمي في الفردوس (٥/٢٩٥)، بلفظ قريب عن عمران بن حصين قال: جمع النبي صلى الله عليه وسلم بني هاشم ذات يوم فقال لهم: يا بني هاشم لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني هاشم إن أوليائي منكم المتقون، يا بني هاشم اتقوا النار ولو بشق تمرة، يا بني هاشم لا ألفينكم تأتون بالدنيا تحملونها على ظهوركم وتأتون بالآخرة تحملونها. واللفظ للطبراني.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨٩٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٢١٣) وقال: إسناده حسن، و (١٠١٢) وقال: إسناده حسن رجاله كلهم ثقات على ضعف يسير في بعضهم.

(٤) أخرجه أحمد في كتاب مسند الأنصار باب حديث معاذ بن جبل (٢١٠٤٠) بدون زيادة أبي الشيخ، والطبراني في الكبير (٢٤١)، وفي مسند الشاميين (٩٩١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٢) وقال: ورجال الإسنادين رجال راشد بن سعد وعاصم بن حميد وهما ثقتان، و(١٠/٢٣٢) وقال: رواه الطبراني وإسناده جيد، وابن أبي عاصم في السنة (٢١٢-١٠١١) وقال: إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات، وابن حبان في صحيحه (٦٤٧) وقال المحشي: إسناده قوي، والهيثمي في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (٢٥٠٤).

ورواه أبو الشّيخ أيضا وزاد في آخره: «اللّهم إنّي لا أُحِلّ لهم فساد ما أصلحت»(١).

وأخرج البخاري، ومسلم واللّفظ له: عن عَمْرِو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «جهاراً غير سِرٍّ يقول: إنّ آل بني فلان ليسوا بأوليائي، إنّما وَلِيِّيَ الله وصالح المؤمنين»(٢).

وأخرج مسلم: عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في حديثٍ قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «مَن بَطَّأ به عمله لم يُسرِع به نسبه»(٣).

والأحاديث في هذا كثيرةٌ شهيرةٌ.

وممّا يشهد لِلْمُثْبِت: ما أخرجه التّرمذي وقال: حديث حسن، عن زيد بن أَرْقَم قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «إنّي تاركٌ فيكم الثّقلين ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبلٌ ممدود من السّماء إلى الأرض، وعِتْرَتي أهل بيتي، لن يَتَفَرَّقَا حتى يَرِدَا عليّ الحوض فانظروا كيف تَخْلُفُوني فيهما»(٤).

وروى الحافظ جمال الدّين محمّد بن يوسف الزَّرندي في كتابه نَظْم دُرَرِ السِّمْطَيْن: عن زيد بن أَرْقَم رضي الله تعالى عنه قال: «أقبل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يوم حِجّة الوداع فقال: إنّي فَرَطُكم على الحوض وإنّكم تَبَعِي، وإنّكم تُوشِكون أن تَرِدُوا على الحوض فأسألكم عن ثِقَلِي كيف خَلَفْتُمُونِي فيهما، فقام رجلٌ من المهاجرين فقال: ما الثّقلان، قال: الأكبر منهما كتاب الله، سببٌ طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسّكوا به، والأصغر عِتْرَتي، فمن استقبل قِبْلَتِي وأجاب دعوتي فَلْيَسْتَوْص بهم خيراً فلا تقتلوهم ولا تقهروهم ولا تَقْصُروا عنهم، وإنّي سألت لهم اللّطيف الخبير أن يَرِدُوا على الحوض

---

(١) تقدم.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب تبل الرحم ببلالها (٥٥٣١)، ومسلم في كتاب الإيمان باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم (٣١٦).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن (٤٨٦٧).

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب باب مناقب أهل بيت النبي (٣٧٢٠) وقال: حديث حسن غريب.

كَتَيْن أو قال: كَهَاتَيْن وأشار بالمُسَبِّحَتَيْن» الحديث[1].

وأخرج الدَّيْلَمِي: عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «أُوصِيكم بعِتْرَتِي خيراً وإنّ موعدهم الحوض»[2].

وأخرج أبو سعيد في شَرَف النّبوّة: عن عبد العزيز بسنده إلى النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّه قال: «أنا وأهل بيتي شجرة في الجنّة وأغصانها في الدّنيا، فمن تمسّك بها اتّخذ إلى الله سبيلا».

وأخرج الطَّبَرَانِي في الأوائل: عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يقول: «أوّل مَن يَرِد عليّ الحوض أهل بيتي، ومن أحبّني من أمّتي»[3].

وأخرج الطّبَرانِي، والدَّارَقُطْنِي، وصاحب كتاب الفِرْدَوْس: عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «أوّل مَن أشفع له يوم القيامة أهل بيتي، ثمّ الأقرب فالأقرب، ثمّ الأنصار، ثمّ مَن آمن بي واتّبعني من أهل اليمن، ثمّ سائر العرب، ثمّ الأعاجم، ومَن أشفع له أوّلاً أفضل»[4].

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/١٦٣-١٦٤) وقال: رواه الطبراني وفيه حكيم بن جبير وهو ضعيف، والطبراني في الكبير (٢٦٨١-٢٦٨٣).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢٥٥٩) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: طلحة ليس بعمدة، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/١٦٣) وقال: رواه البزار، وفيه طلحة بن جبر وهو ضعيف، والبزار في مسنده (٣/٢٥٩) وقال: هذا الحديث لا نعلمه يروى عن عبد الرحمن بن عوف إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، ولا نعلم روى مصعب عن أبيه إلا هذا الحديث.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٧٤٨) وقال: موضوع آفته السري بن إسماعيل وهو كذاب، وسفيان بن الليل مجهول، وأبو هشام الرفاعي ليس بالقوي، واسمه: محمد بن يزيد بن محمد بن كثير العجلي الكوفي.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٥٥٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٨١) وقال: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم، والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (١/٢٣)، والمناوي في فيض القدير (٣/٩١) وعزاه إلى الطبراني وقال: قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفهم، ورواه الدارقطني في =

وروى الطّبَرانِي في الصّغير: عن عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يقول: «يا بني هاشم إنّي قد سألت الله عزّ وجلّ أن يجعلكم نُجَبَاء رُحَمَاء، وسألته أن يهديَ ضالّكم ويُؤمِّن خائفكم ويُشبع جائعكم»(١).

وروى الحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد، عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «وعدني ربّي في أهل بيتي مَن أقَرّ منهم بالتّوحيد ولِي بالبلاغ أن لا يعذّبهم»(٢).

وأخرج أبو سعيد، والمُنْلا في سيرته، والدَّيْلَمِي وولده: عن عمران بن حُصَيْن رضي الله تعالى عنه: عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «سألت ربّي أن لا يُدخِل النّار أحداً من أهل بيتي فأعطاني ذلك»(٣).

وأخرج الإمام أحمد في المَناقِب: عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال: رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «يا معشر بني هاشم والذي بعثني بالحقّ نبياً لو أخذت بحَلقَة الجنّة

الأفراد وقال: تفرد به حفص عن ليث، وحكم ابن الجوزي بوضعه وقال: ليث ضعيف، وحفص كذاب وهو المتهم به.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٧٦١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/١٧٠) وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أصرم بن حوشب وهو متروك.
وعَزْوُ الحديث إلى الطبراني في المعجم الصغير خطأ وإنما هو في المعجم الأوسط، وما في الصغير بلفظ آخر عن عبد الله بن جعفر أيضا (٦٦٧-١٠٣٧) وقال: تفرد به أبو الأشعث عن عبد الله بن جعفر قال: أتى العباس بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله: إني أتيت قوما يتحدثون فلما رأوني سكتوا وما ذاك إلا أنهم يستثقلوني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد فعلوها، والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدهم حتى يحبكم بحبي، أيرجون أن يدخلوا الجنة بشفاعتي، ولا يرجون بني عبد المطلب، ولا يرجو بنو عبد المطلب.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤٧١٨) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: منكر لم يصح، والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٤/٣٨٢)، والمناوي في فيض القدير (٦/٣٦٢).

(٣) أخرجه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٢/٣١٠).

ما بدأت إلا بكم»[١].

وأخرج الطّبَراني في الكبير ورجاله ثقات: عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم لفاطمة: «إنّ الله عزّ وجلّ غير معذّبك ولا ولدك»[٢].

وروى الإمام أحمد، والحاكم في صحيحه، والبَيْهَقِي: عن أبي سعيد قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يقول على المِنبَر: «ما بال رجالٍ يقولون: إنّ رَحِم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم لا تنفع قومه يوم القيامة، بلى واللهِ إنّ رَحِمِي موصولةٌ في الدّنيا والآخرة، وإنّي أيّها النّاس فرطٌ لكم على الحوض»[٣].

وأخرج أبو صالح المؤذّن في أرْبَعِينِه، والحافظ عبد العزيز بن الأخضر، وأبو نَعِيم في معرفة الصّحابة: عن عمر رضي الله تعالى عنه: عن النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «كلّ سببٍ ونسبٍ منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي، وكلّ ولد آدم فإنّ عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة، فأنّي أنا أبوهم وعصبتهم»[٤].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير بلفظ قريب (١١٠٧٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن فتيانا من بني هاشم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: استعملنا على هذه الصدقة نصيب منها ما يصيب الناس ونؤدي كما يؤدون، فقال: إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة وهي أوساخ الناس، ولكن ما ظنكم إذا أنا أخذت بحلقة الجنة هل أوثر عليكم أحدا.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١٦٨٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢٠٢) وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه أحمد في كتاب باقي مسند المكثرين باب مسند أبي سعيد الخدري (١٠٧١٢-١٠٩١٨)، والحاكم المستدرك على الصحيحين (٦٩٥٨) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٦٤) وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال عبد الله بن محمد بن عقيل وقد وثق، وأبو يعلى في مسنده (١٢٣٨).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٦٣١-٢٦٣٢)، و(١٠٤٢)، وأبو يعلى في مسنده (٦٧٤١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٢٢٤) وقال: رواه الطبراني وفيه شيبة بن نعامة وهو ضعيف، وروي من طريق آخر (٦/٣٠١) وقال: فيه بشر بن مهران وهو متروك، والحسيني في البيان والتعريف (٢/١٤٤-١٤٥) وعزاه إلى الطبراني، وأبو نعيم في معرفة الصحابة، وابن سعد في طبقاته مطولا، وابن راهويه مختصرا، والمناوي في فيض القدير (٥/١٧) وقال: رمز السيوطي لحسنه، والعجلوني في كشف الخفاء (٢/١٥٧) وقال: له شواهد.

وورد بطرقٍ عديدةٍ كثيرةٍ بنحو هذا اللّفظ إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في ذلك، ممّا يشهد بنجاتهم وحُسن حالهم ولو عند وفاتهم.

وأمّا الآية السّابقة فهي واردةٌ في شأن الكفّار بدليل السّباق والسّياق فهي ليست بعامّةٍ، ولو قيل بالعموم، يقال: إنّها في العامّ الذي أُريد به الخصوص بشهادة ما تقدّم من النّصوص الدّالّة على أنّ نسبه الشريفٌ نافعٌ لذرّيّته الطّاهرة وأنّهم أسْعد الأنام في الدّنيا والآخرة.

ولقد أكرم في الدّنيا مواليهم حتّى حَرُم أخْذُ الزّكاة عليهم، وما ذلك إلا لانتسابهم إليه، ولم يُفرِّق بين طائعهم وعاصيهم، فكيف ومع أنّهم مُكَرَّمٌ لأجلهم ومُتَفَضّلٌ على غيرهم لفضلهم مُنْتَسِبُون نِسبةً حقيقيّةً إلى أشرف المخلوقات وأفضل أهل الأرض والسّموات الذي أكرمه تعالى بما لا مَبْلَغَ لأقلّه، وخلق الكون لأجله، وشفّعه بما لا يحصى من أهل الكبائر المصرّين عليها فضلاً عن الصّغائر، وأسكنهم لأجله فَسِيح الجِنان وسَبَلَ عليهم رداء العفو والغفران، أَفَلا يكرمه بإنقاذ ولده الذين هم بضعةٌ من جسده، ويرفعهم إلى الدّرجة العليا كما رفعهم على أعيان الأنام في الدّنيا، وحاشاه صلّى الله تعالى عليه وسلّم أن يشفع بالأباعد ويضيّعهم وينسى قرابتهم له ويقطعهم اللّهم يا مالك المُلْك والمَمَالك حقّق لنا ذلك فإنّي بحمده تعالى ممّن صحّ انتسابه لحضرة سيّد العالمين من نسل ولده الحسين عليهم السّلام.

وقد قال صلّى الله تعالى عليه وسلّم كما أخرجه البَزّار، والطّبَرانِي من حديثٍ طويلٍ: «ما بال أقوامٍ يزعمون إنّ قرابتي لا تنفع، إنّ كلّ سببٍ ونسبٍ منقطعٌ يوم القيامة إلا سببي ونسبي، وإنّ رَحِمِي موصولةٌ في الدّنيا والآخرة»(١).

وكيف لا تكون رَحِمَه صلّى الله تعالى عليه وسلّم موصولةٌ وقد رُوي في تفسير قوله تعالى: (وأمّا الجدار) (٢) الآية أنّه كان بينهما وبين الأب الذي حَفِظَا

---

(١) تقدم.

(٢) الكهف الآية (٨٢).

فيه سبعة آباءٍ[1].

فلا ريب في حِفظ ذرّيّته صلّى الله تعالى عليه وسلّم وأهل بيته فيه وإن كَثُرت الوسائط بينهم وبينه، ولهذا قال جعفر الصّادق رضي الله تعالى عنه فيما أخرجه الحافظ عبد العزيز بن الأخضر في معالم العِترة النّبويّة: «احفظوا فينا ما حفظ العبد الصّالح في اليَتيمَيْن وكان أبوهما صالحاً».

وممّا يُستأنَس به في المقام ما أخبرني به بعض مشايخي الكرام عن بعض مشايخه بَوَّأَ الله تعالى الجميع دار السّلام أنّه مرّة كان مجاوراً في مكّة المشرّفة، وكان يقرأ درساً فمرّ به قوله تعالى: (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا) [2] فاستدلّ بعض العلماء به على أنّ ذرّيّته صلّى الله تعالى عليه وسلّم يموتون على أكمل الأحوال، فنظر إلى الدّليل فرآه قوياً، ثمّ استبعد ذلك بما يَبْلُغه عن شرفاء مكّة المشرّفة، فنام فرأى حضرة صاحب الرّسالة صلّى الله تعالى عليه وسلّم في منامه وهو مُعْرِضٌ عنه فقال له: أتَستَبْعِد أن يموت أهل بيتي على أكمل الأحوال أو كما قال، فاستيقظ خائفاً ورجع عن ذلك.

ولا يعارض ذلك أيضاً ما تقدّم من الأحاديث من نحو قوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «كلّ سببٍ ونسبٍ منقطعٌ»[3] لأنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم لا يملك لأحدٍ من الله شيئاً لا ضراً ولا نفعاً، ولكنّ الله تعالى يُمَلِّكه نَفْع أقاربه بل وجميع أمّته بالشّفاعة

---

(١) انظر تفسير البيضاوي (٥/٥١٧-٥١٨)، وتفسير ابن كثير (٣/١٠٠)، وتفسير الطبري (٦/١٦)، وتفسير أبي السعود (٥/٢٣٩)، وتفسير البغوي (٣/١٧٧)، وتفسير زاد المسير لابن الجوزي (٥/١٨٢).

(٢) الأحزاب الآية (٣٣).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٦٣٣-٢٦٣٤-١١٦٢١)، والأوسط (٦٦٠٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٣١٧٢-١٣٤٣٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٢٧٢) وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وقال في رواية أخرى (٩/١٧٣): رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ورجالهما رجال الحسن بن سهل وهو ثقة، وقال في أخرى أيضا: رواه الطبراني ورجاله ثقات، والمقدسي في الأحاديث المختارة (١/١٩٧-١٩٨) وقال: إسناده حسن.

العامّة والخاصّة، فهو لا يملك إلا ما يُمَلِّكه له مولاه عزّ وجلّ ولذا قال: «إلا سببي ونسبي»[١].

وكذا يقال في قوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «لا أُغْنِي عنكم من الله شيئاً»[٢] أي بمجرّد نفسي من غير ما يُكْرِمُني به الله عزّ وجلّ من شفاعةٍ أو مغفرةٍ من أجلي ونحو ذلك، واقتضى مقام التّخويف والحَثّ على العمل الخطاب بذلك مع الإيماء إلى حقّ رَحِمَه بقوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «غير أنّ لكم رَحِماً سَأَبُلُّها بِبَلالِها»[٣].

وهذا الصّنيع البديع الصّادر من مَعْدَنِ الحكمة وغاية البلاغة إنّما نشأ من كمال حرصه صلّى الله تعالى عليه وسلّم على أنّ يكون أهل بيته أوْفَى النّاس حظّاً في باب التقوى والخشية لله عزّ وجلّ، وهذا أحسن ما للعلماء في وجه الجمع بين الأحاديث التي سقناها.

وأمّا قوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «إنّ أوليائي يوم القيامة المتّقون مَن كانوا»[٤]. وقوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «إنّما وَلِيِّيَ الله وصالح المؤمنين»[٥] فلا يَنْفِي نَفْع رَحِمَه وأقاربه.

وكذلك قوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «مَن بَطَّأ به عمله لم يُسْرِع به نسبه»[٦].

لعلّ المراد والله تعالى أعلم: «لم يُسْرِع به» إلى إعلاء الدّرجات، فلا ينافي حصول النّجاة.

وبالجملة فباب الفضل واسعٌ ومع هذا فإنّ الله تعالى يَغارُ لانتهاك حُرُماته، ونبيّنا صلّى الله تعالى عليه وسلّم عبد لله تعالى لا يملك إلا ما مَلَّكَه مولاه ولا ينال جميع ما تَمَنَّاه

---

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) تقدم.

(٥) تقدم.

(٦) تقدم.

إلا أن يشاء الله.

ألا ترى إلى قوله تعالى: (إنّك لا تهدي مَن أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء) [١]، وقوله تعالى: (ليس لك من الأمر شيء)[٢] فليس يعلم كلّ شخصٍ أنّه يشفع فيه وإن كان أحب النّاس إليه ورُتبته قريبةٌ لديه، فهذا أبو طالب الذي نَصَر رسول الله وأيّده وآواه مع أنّه صِنْوُ أبيه وكافِله ومُرَبّيه فهل نفعه ذلك ونجّاه من المهالك؟![٣].

وهذا نوح عليه السّلام الذي هو أبو الأنام قال له تعالى في ابنه: (إنّه ليس من أهلك إنّه عملٌ غير صالح) [٤].

---

(١) القصص الآية (٥٦).

(٢) آل عمران الآية (١٢٨).

(٣) إن الذي لم ينفع أبو طالب من المهالك هو عدم إسلامه ولو أسلم لكان نفعه وكان في أعلى علّيّين، كما أخرج البخاري في كتاب تفسير القرآن باب قوله إنك لا تهدي من أحببت (٤٣٩٩)، ومسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت (٣٥): عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال: أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه، ويعيدانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.

ومع ذلك فهو مع كفره فقد نال شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم بتخفيف العذاب عنه، كما أخرج البخاري في كتاب المناقب باب قصة أبي طالب (٣٥٩٦)، ومسلم في كتاب الإيمان باب شفاعة النبي لأبي طالب (٣١٠)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه فقال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه.

وعذاب أبو طالب يكون أخف عذاب أهل النار، وما ذلك إلا لشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم له، كما أخرج البخاري في كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار (٦٠٧٦-٦٠٧٧)، ومسلم في كتاب الإيمان باب أهون أهل النار عذابا (٣١٢-٣١٣-٣١٤)، عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه.

(٤) هود الآية (٤٦).

فالكلّ تحت مشيئة الله تعالى: (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) [1] ولهذا كان صلّى الله تعالى عليه وسلّم أشدّ النّاس خوفاً من ربّه تعالى وأعظمهم له مهابةً وإجلالاً.

وكذلك كان أصحابه الأطهار، وأتباعهم الأبرار، فهذا عمر بن الخطاب الذي جهَّز جيوش المسلمين ونَصَر شَوْكة الموحِّدين وفتح البلاد وقهر أهل العِناد وبشّره الصّادق بالجنّة وإسباغ الخير والمِنَّة، ومع هذا قال: ليت أو عمر لم تَلِد عمر، وقال: لا آمن مَكْر الله، فلم يَتَّكل على ذلك كلّه.

فإنّ النّاجي منّا قليلٌ إذا عامَلَنا تعالى بعدله، فلا يَغْتَرَّ ذو نسبٍ بنسبه أهل العناد وبشره الصادق بالجنة وإسباغ الخير والمنة ومع هذا قال ليت أم عمر لم تلد عمر وقال لا آمن مكر الله فلم يتكل على ذلك كله فإن الناجي منا قليل إذا عاملنا تعالى بعدله فلا يغتر ذو نسب بنسبه ويجعله أقوى سببه، فإنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم حازَ القَدَح المُعَلَّى والمقام الأعلى بمعرفة حقوق الرُّبُوبيَّة والقيام بما تستحقّه من العُبوديّة.

فَلْيُعْلَم أنّه لا نِسبة عنده صلّى الله تعالى عليه وسلّم بين السّيّدة فاطمة التي هي فِلْذَة كَبِده الطّاهر ومقام الرّبِّ عزّ وجلّ العَلِيِّ القاهر، فيُحبّ ما يُحبّه مولاه، ويَسخَط لما يُسخِط مِن خَلْقه وسواه وإن كان أحبّ النّاس إليه، بل يكون ذلك سبباً لانسلاخ محبّته إيّاه، فإنّ الله تعالى أحبّ وأعزّ وأجلّ وأكبر من كلّ شيءٍ عنده عليه الصّلاة والسّلام كما لا يخفى على من له أدنى تَمْيِيز فضلاً عن ذوي الأفهام.

وفي انصرافه صلّى الله تعالى عليه وسلّم عمّن لم يمتثل ما جاء به وإن كان أخصّ أقاربه على ذلك أعظم شاهدٍ وأكبر سَندٍ وعاضِدٍ، فكيف يظنّ أحدٌ من ذوي النّسب إذا انتهك حُرُمات الله تعالى ولم يُراع ما عليه وجب أن يبقى له حُرمة ومقام عنده عليه الصّلاة والسّلام، أيزْعم الغَبِيُّ أنّه أعظم حرمةً من الله عند نبيّه؟! كلاً والله بل قلبه مَغْمُور في لُجَج الغفلة وساهٍ، فمن اعتقد ذلك يُخْشى عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله.

فلْيَنْظُر في حال السّلف الأخيار من أهل البيت الأطهار بماذا تَخَلَّقوا، وعلى ماذا

---

(١) الأعراف الآية (٩٩).

اتَّكَلُوا، وبأيّ شيءٍ اتّصفوا، وعلى ماذا عوَّلوا، فإذا توجّه إلى تحصيل أسباب اللّحوق بهم بِعَزْمٍ صادقٍ يَسْرَح الفتح الإلهي إليه ويكون بهم خير لاحِقٍ، فإنّ أهل البيت مَلْحُوظُون ومُعْتَنَى بهم وهم أقرب إلى الوصول إلى ربّهم، فمن جَدَّ وَجَدَ ومن قصد الكريم لم يُصَدْ.

نسأله تعالى دوام التّوفيق والهداية إلى أقوم طريقٍ، وأن يوفّقنا لاتّباعه والقيام بحقوق القرابة والنّسب، وأن لا يجعله سبباً للغُرور والخروج عن الأدب، وأن يُميتنا على دين نبيّه المعظَّم، وحبِّه وحبَّ آل بيته المُكَرَّم الأكرمين، إنّه أكرم وأرحم الرّاحمين.

وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ، وعلى آله وعِتْرَتِه الطّاهرين، وصحابته أجمعين، وتابِعِيهم إلى يوم الدّين.

والحمد لله ربّ العالمين.

الرسالة الثانية

الدلالة على عموم الرسالة

للإمام العلامة تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي
المتوفى سنة ٧٥٦ هـ

خرج آياتها وأحاديثها
الشيخ علي أسعد رباجي



ترجمة الإمام تقيّ الدِّين السُّبْكي

اسمه:

الإمام العلاّمة الحافظ الفقيه المجتهد النَّظّار الوَرِع الزّاهد قاضي القضاة تقيّ الدِّين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السُّبْكي الكبير رحمه الله تعالى.

مولده:

ولد بِسُبْك من قرى المَنُوفِيَّة بمصر سنة ٦٨٣هـ.

شيوخه:

تفقّه على ابن الرِّفْعَة، وأخذ التّفسير عن العَلَمِ العراقي، والحديث عن الشّرَف الدِّمياطِي، والقراآت عن التّقيِّ الصّائغ، والأصْلَيْن والمعقول عن العلاء الباجي، والخلاف والمنطق عن السّيف البغدادي، والنّحو عن أبي حيّان.

رحلاته:

رحل في طلب الحديث إلى الشّام والإسكندريّة والحجاز وسمع من شيوخها، كابن الموازيني وابن مشرف وابن الصوّاف والرِّضى الطّبري وآخرين، يجمعهم معجمه الذي خرّجه له الحافظ أبو الحسين بن أيْبَك في عشرين جزءاً.

علمه وزهده:

قال الحافظ أبو المحاسن الحسيني في ذيل تذكرة الحفّاظ[1]: عنى بالحديث أتمّ عناية، وكتب بخطّه المَلِيح الصّحيح المُتْقَن شيئاً كثيراً من سائر علوم الإسلام، وسارت بتصانيفه وفتاويه الرُّكْبان في أقطار البلدان، وكان ممّن جمع فنون العلم مع الزّهد والورع والعبادة والتّلاوة والشّجاعة والشِّدة في دينه.

---

(١) انظر ذيل تذكرة الحفاظ للإمام الحسيني (١/٣٩).

تصانيفه:

قال الجلال السّيوطي[١]: أقبل على التّصنيف والفُتيا وصنّف أكثر من مائة وخمسين مصنّفاً، وتصانيفه تدلّ على تَبَحُّره في الحديث وغيره، وسَعَة باعِه في العلوم، وتَخَرَّج به فضلاء العصر.

وكان مُحَقِّقاً مدَقِّقاً نظَّاراً جَدَلِياً بارعاً في العلوم، له في الفقه وغيره الاستنباطات الجليلة والدّقائق اللّطيفة والقواعد المحرّرة التي لم يُسبق إليها.

وكان مُنْصِفاً في البحث على قَدَمٍ من الصّلاح والعفاف، ومصنّفاته ما بين مُطَوَّلٍ ومختصرٍ، والمختصر منها لا بدّ وأن يشتمل على ما لا يوجد في غيره من تحقيقٍ وتحريرٍ لقاعدةٍ واستنباطٍ وتدقيقٍ.

المناصب التي تولاها:

قال الحافظ ابن حجر: ولِي قضاء دمشق سنة ٧٣٩هـ بعد وفاة الجلال القَزْوِيني، فباشر القضاء بهمّةٍ وصرامةٍ وعفّةٍ وديانةٍ، وأضيفت إليه الخطابة بالجامع الأموي فباشرها مدّة، وولي التّدريس بدار الحديث الأشرفية بعد وفاة المزّي، وما حفظ عنه في التّركات ولا في الوظائف ما يُعاب عليه.

وكان مُتَقَشِّفاً في أموره مُتقلِّلاً من الملابس حتّى كانت ثيابه في غير الموكب تُقَوَّم بدون ثلاثين درهماً.

وكان لا يستكثر على أحد شيئاً حتّى إنّه لمّا مات وجدوا عليه اثنين وثلاثين ألف درهم ديناً، فالتزم وَلَداه التّاج والبهاء بوفائها.

وكان لا تقع له مسألة مُسْتَغْرَبَة أو مُشْكِلَة إلا ويعمل فيها تصنيفاً يجمع فيه شتاتها طال أو قَصُر.

وقال الزّين العِراقي: تفقّه به جماعة من الأئمة وانتشر صِيته وتواليفه، ولم يخلف

---

(١) انظر طبقات الحفاظ للإمام السيوطي (١/٥٢٥-٥٢٦).

بعده مثله.

مناظراته:

وقال الإسنَوي: كان أنْظَر مَن رأيناه من أهل العلم، ومن أجمعهم للعلوم، وأحسنهم كلاماً في الأشياء الدّقيقة، وأجلدهم على ذلك.

وكان في غاية الإنصاف والرجوع إلى الحقّ في المباحث ولو على لسان آحاد الطّلبة.

مكانته:

قال الصّلاح الصَّفَدي: النّاس يقولون ما جاء بعد الغزّالي مثله، وعندي أنّهم يظلمونه بهذا، وما هو عندي إلا مثل سفيان الثّوري.

وفاته:

بقي على قضاء الشّام إلى أن ضَعِف، فأناب عنه وَلَده التّاج، وانتقل إلى القاهرة وتوفّي فيها بعد عشرين يوما سنة ٧٥٦هـ، ودُفن بسعيد السّعداء بباب النّصر.

أغدق الله على ضريحه سحائب رحمته ورضوانه بَمَنّه وكرمه[١].

---

(١) اختصرت الترجمة من كتابه الفتاوى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الدّلالة على عموم الرّسالة

هذه أسئلةٌ من طرابلس الشّام وردت على الشّيخ الإمام رحمه الله وهو بالقاهرة في سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة.

السّؤال الأوّل: فيمن ذهب من العلماء المحقِّقين إلى وجوب الإيمان بكون نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم مبعوثاً إلى الإنس والجنّ كافّة وأنّ رسالته شاملةٌ للثّقلين، وهو سؤالٌ مبسوط.

قال رحمه الله: أرى أن أذكر السّؤال كلّه مستوفى لكن أقطّعه فأذكر كلّ قطعةٍ منه وجوابها ليحصل بذلك استيعاب كلام السّائل وجوابه.

فأقول وبالله التّوفيق: كونه صلّى الله عليه وسلّم مبعوثاً إلى الإنس والجنّ كافّة وأنّ رسالته شاملةٌ للثّقلين فلا أعلم فيه خلافاً ونقل جماعةٌ الإجماع عليه، وكون ذلك ممّا يثبت بالإجماع وكونه قطعياً أو ظنّياً سيأتي عند ذكر السّائل له، وأدلّة ذلك تأتي قريباً عند طلب السّائل الدّليل.

وأمّا وجوب الإيمان بذلك فصحيحٌ بمعنى تصديق ما جاء بالأخبار عنه من الأدلّة الواردة في الكتاب والسّنّة وإجماع الأمّة بعد الإحاطة بها، وليس معناه أنّه يجب ويشترط في الإيمان اعتقاد ذلك ولا يكون مؤمناً إلا به حتّى يجب عليه تحصيل سببه، فإنّ العاميّ لو أقام دهره لا يعتقد ذلك ولم يخطر ببالِه ولا عرف شيئاً من الأدلّة الدّالّة عليه غير أنّه يعلم أنّه لا إله إلا الله محمّدٌ رسول الله كان مؤمناً وليس بعاصٍ بتأخير تعَلّمه لذلك أو تركِه إذا قام غيره به.

وقول من قال من المحقّقين بوجوب الإيمان بذلك محمولٌ على ما قلناه، فإنّ الشّريعة كلّها وجميع ما ورد فيها يجب الإيمان به إجمالاً وإمّا تفصيلاً، فمنه ما يجب على كلّ أحدٍ وهو ما لا يصير العبد مؤمناً إلا به، وما يعُمُّ وجوبه لجميع المكلّفين كالصّلاة ونحوها،

ومنه ما ليس كذلك فلا يجب إلا على مَنِ احتاج إليه أو مَن علم بدليله وهذا منه، وستأتي زيادة بيان في ذلك.

قال السّائل أكرمه الله: ما الدّليل على ذلك؟.

أقول: الدّليل عليه قبل الإجماع الكتاب والسّنّة.

أمّا الكتاب فآياتٌ: منها قوله تعالى: (ليكون للعالمين نذيراً)[١] وقد أجمع المفسّرون على دخول الجنّ في ذلك في هذه الآية ومع ذلك هو مدلول لفظها فلا يخرج عنه إلا بدليل، وإن قيل: إنّ الملائكة خارجون من ذلك فلا يضرّ؛ لأنّ العامّ المخصوص حجّةٌ في الباقي، والنّذير: هو المُخبِر بما يقتضي الخوف وإخباره إنّما هو عن الله وذلك يقتضي كونه رسولاً إليهم عنه، وكون الضّمير في: (ليكون) للفرقان بعيد بل يتعيّن أن يكون الضّمير لعبده لأمرين:

أحدهما: أنّه أقرب، والضّمير لا يكون لغير الأقرب إلا بدليل.

والثّاني: أنّ وصفه بالنّذير حقيقةً، ووصف الفرقان به مجاز، فلا يجوز العدول عن الحقيقة إلى المجاز بغير دليل.

ومنها: قوله تعالى في سورة الأحقاف: (فلما قضي ولّوْا إلى قومهم منذرين)[٢] والمنذِرون: هم المُخَوِّفُون ممّا يلحق بمخالفته لَوْم، فلو لم يكن مبعوثاً إليهم لما كان القرآن الذي أتى به لازماً لهم ولا خُوِّفُوا به.

ومنها: قولهم فيها: (أجيبوا داعي الله)[٣] فأمر بعضهم بعضاً بإجابته دليلٌ على أنّه داعٍ لهم وهو معنى بعثه إليهم.

ومنها: قولهم: (وآمنوا به يغفر لكم)[٤] الآية وذلك يقتضي ترتيب المغفرة على الإيمان به، وأنّ الإيمان به شرطٌ فيها، وإنّما يكون كذلك إذا تعلّق حكم رسالته بهم وهو

---

(١) الفرقان الآية (١).

(٢) الأحقاف الآية (٢٩).

(٣) الأحقاف الآية (٣١).

(٤) الأحقاف الآية (٣١).

معنى كونه مبعوثاً إليهم.

ومنها: قولهم: (ومن لا يجب داعيَ الله)[١] الآية فعدم إعجازهم وأوليائهم وكونهم في ضلالٍ مرتّب على عدم إجابته وذلك أدَلّ دليلٍ على بعثته إليهم.

ومنها: قوله تعالى: (سنفرغ لكم أيها الثّقلان)[٢] فهذا تهديدٌ ووعيدٌ شاملٌ لهم وارِد على لسان رسوله صلّى الله عليه وسلّم عن الله، وهو يقتضي كونه مُرسَلاً إليهم وأيّ معنى للرّسالة غير ذلك، وكذلك مخاطبتهم في بقيّة السّورة بقوله: (ولمن خاف مقام ربّه جنّتان)[٣] وغير ذلك من الآيات التي تضمّنتها هذه السّورة.

ومنها: قوله تعالى في سورة الجنّ: (فآمنّا به ولن نشرك بربّنا أحداً)[٤] فإنّ قوّة هذا الكلام تقتضي أنّهم انقادوا له وآمنوا بعد شِركِهم وذلك يقتضي أنّهم فهموا أنّهم مكلّفون به، وكذلك كثيرٌ من الآيات التي في هذه السّورة التي خاطبوا بها قومهم.

ومنها: قولهم فيها: (وأنّا لمّا سمعنا الهدى آمنّا به)[٥]، وكذا قولهم: (فمن أسلم فأولئك تحرّوْا رشداً)[٦][٧] إلى آخر الآيات.

ومنها: قوله تعالى: (قل الله شهيدٌ بيني وبينكم وأوحيَ إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومَن بلغ)[٨] فهذه الآية تقتضي أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم منذرٌ بالقرآن كلّه مَن بلَغه

---

(١) الأحقاف الآية (٣٢).

(٢) الرحمن الآية (٣١).

(٣) الرحمن الآية (٤٦).

(٤) الجن الآية (٢).

(٥) الجن الآية (١٣).

(٦) الجن الآية (١٤).

(٧) ورد في إسلام الجن أحاديث منها: ما أخرج البخاري في كتاب تفسير القرآن باب قل ادعوا الذين زعمتم من دونه (٤٣٤٥)، وفي باب قوله: (أولئك الذين يدعون يبتغون) (٤٣٤٦)، ومسلم في كتاب التفسير باب في أولئك الذين يدعون يبتغون (٥٣٥٦- ٥٣٥٧-٥٣٥٨)، عن عبد الله بن مسعود: (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة)، قال: نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن، فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون، فنزلت: (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة). واللفظ لمسلم.

(٨) الأنعام الآية (١٩).

القرآن جنياً كان أو إنسياً، وهي في الدّلالة كآية الفُرقان أو أَصْرَح، فإنّ احتمال عَوْد الضّمير على الفُرقان غير واردٍ هنا.

فهذه مواضع في الفُرقان تدلّ على ذلك دلالة قويّة أقواها آية الأنعام هذه وتليها آية الفُرقان، وتليها آيات الأحقاف، وتليها آيات الرّحمن وخطابها في عدّة آيات: (فبأي آلاء ربّكما تكذبان)[1] وتليها سورة الجنّ فقد جاء ترتيبها في الدّلالة والقوّة كترتيبها في المصحف.

وفي القرآن أيضاً ما يدلّ لذلك، ولكن دلالة الإطلاق اعتمدها كثيرٌ من العلماء في مباحث وهو اعتماد جيّد، وهو هنا أجود لأنّ الأمر بالإنذار، والمطلق إذا لم يتقيّد بقيدٍ يدلّ على تَمَكُّن المأمور في الاتيان به في أيّ فردٍ شاء من أفراده وفي كلّها، وهو صلّى الله عليه وسلّم كامل الشّفقة على خلق الله والنّصيحة لهم والدّعاء إلى الله تعالى، فمع تمكّنه من ذلك لا يتركه في شخصٍ من الأشخاص ولا في زمنٍ من الأزمان ولا في مكانٍ من الأمكنة، وهكذا كانت حالته صلّى الله عليه وسلّم.

ويُعلم أيضاً من الشّريعة أنّ الله تعالى لم يَرِد من قوله: (قم فأنذر)[2] مطلق الإنذار حتى يكتفى بإنذارٍ واحدٍ لشخصٍ واحدٍ بل أراد التّشمير والاجتهاد في ذلك.

فهذه القرائن تفيد الأمر بالإنذار لكلّ من يفيد فيه الإنذار، والجنّ بهذه الصّفة؛ لأنّه كان فيهم سفهاء وقاسطون وهم مكلّفون، فإذا أُنْذِروا رجعوا عن ضلالهم فلا يترك النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم دعاءهم، والآية بالقرائن المذكورة مفيدةٌ للأمر بذلك فتثبت البعثة إليهم بذلك.

ومنها: كلّ آيةٍ فيها لفظ المؤمنين ولفظ الكافرين ممّا فيه أمرٌ أو نهيٌ ونحو ذلك فإنّ المؤمنين والكافرين صفتان لمحذوف، والموصوف المحذوف لا يتعيّن أن يكون النّاس بل المكلّفين أعمّ من أن يكونوا إنساً أو جناً، وإذا ثبت هذا أمكن الاستدلال بما لا يُعَدُّ ولا يحصى من الآيات كقوله تعالى: (فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النّور الذي

---

(١) الرحمن الآية (١٣).

(٢) المدثر الآية (٢).

أنزل معه أولئك هم المفلحون)[١] فالجنّ الذين لم يتبّعوه ليسوا مفلحين، وإنّما يكون كذلك إذا ثبتت رسالته في حقّهم، وكقوله تعالى: (لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين)[٢]، وكقوله: (هدى للمتقين)[٣] ونحو ذلك من الآيات، أيضاً قوله تعالى: (إنّما تنذر من اتّبع الذّكر)[٤] ومن الجنّ كذلك، ولو تتبّعنا الآيات التي من هذا الجنس جاءت كثيرةٌ فنكتفي بالآيات السّابقة وإن كانت هذه عاضدة لها.

واعلم أنّ المقصود بتكثير الأدلّة أنّ الآية الواحدة والآيتين قد يُمكِن تأويلها ويتطرّق إليها الاحتمال، فإذا كَثُرت قد تترقّى إلى حدٍّ يقطع بإرادة ظاهرها ويبعد[٥] الاحتمال والتّأويل عنها.

وأمّا السّنّة: ففي صحيح مسلم: من حديث العَلاء عن أبيه عن أبي هريرة: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «فُضِّلْت على الأنبياء بسِتٍّ: أُعْطِيت جوامِع الكَلِم، ونُصرت بالرُّعْب، وأُحِلَّت لي الغنائم، وجُعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأُرسلت إلى الخلق كافّة، وخُتم بي النّبيُّون»[٦]، وهذا الحديث انفرد مسلم بإخراجه عن البخاري.

وجاءني سؤال من جهة هذا السّائل عن هذه المسألة، وفيه نسبة هذا الحديث إلى البخاري وليس كذلك.

ومحلّ الاستدلال: قوله: «وأُرسلت إلى الخلق كافّة» فإنّه يشمل الجنّ والإنس، وحمله على الإنس خاصّة تخصيص بغير دليلٍ فلا يجوز، والكلام فيه كالكلام في قوله تعالى: (للعالمين)[٧].

فإن قال قائلٌ: على أنّ المراد «بالخلق»، «النّاس» رواية البخاري من حديث جابر

---

(١) الأعراف الآية (١٥٧).

(٢) الأحقاف الآية (١٢).

(٣) البقرة الآية (٢).

(٤) يس الآية (١١).

(٥) في الأصل: وبقي، والصحيح ما أثبته.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب (٨١٢).

(٧) الفرقان الآية (١).

عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «أُعْطِيت خَمْساً لم يُعْطَهُنّ أحدٌ من الأنبياء قبلي» فذكر من جملتها: «وأُرسلت إلى النّاس كافّة»[١].

قلنا: لو كان هذا حديثاً واحداً كنّا نقول لعلّ هذا اختلاف من الرّواة، ولكن الذي ينبغي أن يقال: إنّهما حديثان؛ لأنّ حديث مسلم من رواية أبي هريرة وفيه: «ستّ» خصالٍ، وحديث البخاري من رواية جابر وفيه: «خمس» خصالٍ[٢].

والظّاهر أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قالهما في وقتين، وفي حديث مسلم زيادة في عدد الخصال ([٣])، وفي سنن المرسل إليهم فيجب إثباتها زيادة على حديث جابر، وليس بنا ضرورة إلى حمل أحد الحديثين على الآخر إذ لا منافاة بينهما بل هما حديثان مختلفَا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التيمم باب وقول الله تعالى: (فلم تجدوا ماء فتيمموا) (٣٢٣)، وفي كتاب الصلاة باب قول النبي: جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا (٤١٩).

(٢) **فائدة:** قال ابن حجر في فتح الباري (١/٤٣٩): حديث أبي هريرة: فضلت على الأنبياء بست، فذكر الخمس المذكورة في حديث جابر إلا الشفاعة، وزاد الخصلتين وهما: وأعطيت جوامع الكلم، وختم بي النبيون، فتحصّل منه ومن حديث جابر سبع خصال، ولمسلم أيضا من حديث حذيفة: فضلنا على الناس بثلاث خصال: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وذكر خصلة الأرض كما تقدم قال: وذكر خصلة أخرى، وهذه الخصلة المبهمة بيّنها ابن خزيمة والنسائي وهي: وأعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش، يشير إلى ما حطه الله عن أمته من الإصر، وتحميل ما لا طاقة لهم به، ورفع الخطأ والنسيان، فصارت الخصال تسعا، ولأحمد من حديث علي: أعطيت أربعا لم يعطهن أحد من أنبياء الله: أعطيت مفاتيح الأرض، وسميت أحمد، وجعلت أمتي خير الأمم، وذكر خصلة التراب فصارت الخصال اثنتي عشر خصلة، وعند البزار من وجه آخر عن أبي هريرة رفعه: فضلت على الأنبياء بست: غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وجعلت أمتي خير الأمم، وأعطيت الكوثر، وأن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة، تحته آدم فمن دونه، وذكر اثنتين مما تقدم، وله من حديث ابن عباس رفعه: فضلت على الأنبياء بخصلتين: كان شيطاني كافرا فأعانني الله عليه فأسلم، قال: ونسيت الأخرى.

قلت (أي ابن حجر): فينتظم بهذا سبع عشرة خصلة ويمكن أن يوجد أكثر من ذلك لمن أمعن التتبّع، وقد تقدم طريق الجمع بين هذه الروايات وأنه لا تعارض فيها، وقد ذكر أبو سعيد النيسابوري في كتاب شرف المصطفى أن عدد الذي اختص به نبينا صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء ستون خصلة.

(٣) يوجد بين القوسين كلام زائد حذفته وهو قوله: [وفي سُنن المرسَل إليهم فيجب إثباتها زيادة على عدد الخصال].

المخرج والمعنى وإن كان بينهما اشتراك في أكثر الأشياء، وخَرَّج كلّ من صاحبَي الصّحيحين واحداً منهما ولم يذكر الآخر.

وذكر الحافظ عبد الغَنِي المقدسي حديث جابر في العُمْدة[١] وفي لفظه: «إلى النّاس»، وقد اشترط فيها أن يكون ممّا اتّفق عليه الإمامان[٢]، وهذا اللّفظ في البخاري خاصّة دون مسلم، وإنّما في مسلم من حديث جابر: «إلى الأحمر والأسود»[٣] وعبد الغَنِي كان حافظاً يذكر المتون من حفظه فوقع له كثيرٌ من هذا النّوع وذلك ممّا ينتقد عليه، والحامل له على ذلك أنّ حديث جابر بأكثر ألفاظه متّفق عليه، وإنّما انفرد البخاري بهذه اللّفظة الواحدة وهي أشْهَر، فَجَرَت على لسان عبد الغَنِي ولم يكن قصده تحرير ذلك لأنّه مُصنَّف في باب التّيمّم ومقصوده منه حاصلٌ بغيرها.

فهذا الحديث الذي ذكرناه عن مسلم واستدللنا به أَصْرَح الأحاديث الصّحيحة الدّالّة على شمول الرّسالة للجنّ والإنس.

وروى وَثِيمَة بن موسى من حديث ابن عبّاس: عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «أُرْسِلْت إلى الجنّ والإنس، وإلى كلّ أحمر وأسود، وأُحلَّت لي الغنائم دون الأنبياء، وجُعِلَت لي الأرض كلّها مسجداً وطهوراً»[٤] وذكر باقي الحديث في خصائصه صلّى الله

---

(١) انظر إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام باب التيمم (١٨٠).

(٢) قال الإمام المقدسي في مقدمة عمدة الأحكام (٤٧): إن بعض الإخوان سألني اختصار جملة من أحاديث الأحكام مما اتفق عليه الإمامان، فأجبته إلى سؤاله رجاء المنفعة به. قال المحشي على إحكام الأحكام الشيخ حسن إسبر (٤٧): قال ابن الملقن في الإعلام بفوائد عمدة الأحكام: قد خالف هذا الشرط فخرّج أحاديث انفرد البخاري بها تارة ومسلم أخرى، وقد عدّها الزركشي في تصحيح العمدة إلى (٧٦) حديثا.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد باب (٨١٠).

(٤) لم أجده بهذا اللفظ ولا بهذا السند عن وثيمة بن موسى عن ابن عباس، ولم أجد حديثا يروى عن وثيمة بن موسى في الجن، وذكر الحديث أيضا الإمام الشبلي في آكام المرجان (٣٨) عن رشمة، والسيوطي في لقط المرجان (٧٧) عن وشمة بهذا اللفظ. ولعل ما في المتن وقع خطأ فبدَل أن يذكر عبيد الله بن موسى ذكر وثيمة بن موسى، فقد أخرج الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٨/٨) وقال: رواه البزار وفيه من لم أعرفهم، والبيهقي في السنن الكبرى (٤٣٣/٢) وقال: أنبأ أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا الحسن بن

عليه وسلّم وفيه بعض طُول، وهذا الحديث أَصْرَح من حديث مسلم لكنّه ليس في الصِّحة مثله.

وروى مسلم في صحيحه أيضاً: من حديث جابر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أُعْطِيت خمْساً لم يُعْطَهُنّ أحدٌ قبلي: كان كلّ نبيٍّ يُبعث إلى قومه خاصّة، وبُعِثْت إلى كلّ أحمر وأسود، وأُحِلَّت لي الغنائم ولم تَحُلّ لأحدٍ قبلي، وجُعِلَت لي الأرض طَيِّبَةً طهوراً ومسجداً، فأيّما رجلٍ أدركته الصّلاة صلّى حيث كان، ونُصِرْت بالرّعْب مسيرة شهرٍ، وأُعْطِيت الشّفاعة»(١).

واختلف أهل الغريب في تفسير قوله: «أحمر وأسود» فقيل: العجم والعرب، وقيل: الجنّ والإنس(٢).

فعلى هذا هو صريحٌ في المقصود.

روى البخاري، ومسلم حديث ابن عباس قال: «انطلق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في طائفةٍ من أصحابه عامِدين إلى سوق عُكاظ، وقد حِيل بين الشّياطين وبين خبر السّماء وأُرْسِلَت عليهم الشُّهُب، قالوا: ما ذاك إلا من شيءٍ حدث، فاضربوا مشارق الأرض

= علي بن عفان، ثنا عبيد الله بن موسى، ثنا سالم أبو حماد، عن السدي، عن عكرمة، عن ابن عباس ... وبعثت أنا إلى الجن والإنس ...الخ، وأخرج الحاكم في المستدرك (٣٥٨٧) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التخليص: على شرط البخاري ومسلم، حدثنا أبو كريب سمعت أبا أسامة وسئل عن قول الله عز وجل: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا)؟ فقال: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: طلبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فوجدته قائما يصلي فأطال الصلاة ثم قال: أوتيت الليلة خمسا لم يؤتها نبي قبلي: أرسلت إلى الأحمر والأسود، قال مجاهد: الإنس والجن ...إلخ .

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب (٨١٠).

(٢) قال ابن حجر في فتح الباري (٤٣٩/١): المراد بالأحمر: العجم، وبالأسود: العرب، وقيل الأحمر: الأنس، والأسود: الجن، وقال النووي في شرح مسلم (٥/٥)، والسيوطي في الديباج (٢٠١/٢): قيل المراد بالأحمر: البيض من العجم وغيرهم، وبالأسود: العرب لغلبة السمرة فيهم وغيرهم من السودان، وقيل المراد بالأسود: السودان، وبالأحمر: من عداهم من العرب وغيرهم، وقيل الأحمر: الإنس، والأسود: الجن، والجميع صحيح فقد بعث إلى جميعهم.

ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السّماء، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها فمرّ النّفر الذين أَخذوا نحو تِهامة وهو بنَخْلٍ[١] عامِدين إلى سوق عُكاظ وهو يصلّي بأصحابه صلاة الفجر، فلمّا سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السّماء، فرجعوا إلى قومهم فقالوا: إنّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرّشد فآمنّا به ولن نشرك بربّنا أحداً، فأنزل الله تعالى عزّ وجلّ على نبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم: (قل أوحيَ إليّ أنّه استمع نفرٌ من الجنّ)»[٢][٣].

زاد مسلم في أوّل هذا الحديث من قول ابن عباس: «ما قرأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على الجنّ وما رآهم»[٤].

ثمّ اتّفق البخاري، ومسلم من عند قوله: «انطلق» وليست الزّيادة المذكورة في البخاري[٥]، وليس مراد ابن عباس بها إنكار قراءته صلّى الله عليه وسلّم على الجنّ أو رؤيته لهم مطلقاً بل في تلك المرّة التي حكاها في آخر كلامه، ولو أراد ذلك لعارضه قول ابن مسعود الذي سنذكره، ويُقَدَّم قول ابن مسعود لأنّه إثباتٌ، وقول ابن عباس نفيٌ، والإثبات مُقَدَّم على النّفي لاسيّما وقصة الجنّ كانت بمكّة، وكان ابن عباس إذ ذاك طفلاً أو لم يُولَد بالكُلِّيَّة، فهو إنّما يرويها عن غيره، وابن مسعود يرويها مباشرةً عن النّبيّ صلّى الله عليه

---

(١) قال ابن حجر في فتح الباري (٨/٦٧٤): قوله: بنخلة بفتح النون وسكون المعجمة موضع بين مكة والطائف، قال البكري: على ليلة من مكة وهي التي ينسب إليها بطن نخل، ووقع في رواية مسلم: بنخل بلا هاء والصواب إثباتها.

(٢) الجن الآية (١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب الجهر بقراءة صلاة الفجر (٧٣١)، وفي كتاب تفسير القرآن باب قال ابن عباس: لِبَدا: أعوانا (٤٥٤٠).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن (٦٨١).

(٥) قال ابن حجر في فتح الباري (٨/٦٧٠) فكأن البخاري حذف هذه اللفظة عمدا؛ لأن ابن مسعود أثبتَ أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الجن، فكان ذلك مقدما على نفي ابن عباس وقد أشار إلى ذلك مسلم فأخرج عقب حديث ابن عباس هذا، حديث ابن مسعود: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أتاني داعي الجن فانطلقت معه فقرأت عليه القرآن، ويمكن الجمع بالتعدد.

وسلّم، فالأَوْلى أن يُجعل كلام ابن عباس غير معارضٍ لكلام ابن مسعود وأن يكونا مرّتين[١]، إحداهما: التي ذكرها ابن عباس وهي التي أشار إليها القرآن في سورة الأحقاف.

وفي سورة الجنّ لم يكن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قَصَدَهم ولا شعَر بهم ولا رآهم ولا قرأ عليهم قصْداً، بل سمعوا قراءته وآمنوا به[٢] كما نطق به الكتاب العزيز، وثبوتها من حيث الجملة قطعيٌّ.

وأهل السِّيَر يقولون: إنّ ذلك لمّا تُوُفِّي أبو طالبٍ وخرج النّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم إلى الطّائف ومعه زيد بن حارثة وذلك سنة عشْر من البعثة، فأقام بالطّائف عشْرة أيامٍ ثمّ رجع إلى مكّة، فلمّا نزل نخلة قام يصلّي من اللّيل فصُرِف إليه نفرٌ من الجنّ وهو يقرأ[٣].

---

(١) قال ابن حجر في فتح الباري (٧/١٧١-١٧٢): أنكر ابن عباس أنهم اجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم، وحديث أبي هريرة في وفد نصيبين وإن كان ظاهرا في اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم بالجن وحديثه معهم، لكنه ليس فيه أنه قرأ عليهم ولا أنهم الجن الذين استمعوا القرآن؛ لأن في حديث أبي هريرة أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلتئذ، وأبو هريرة إنما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في السنة السابعة المدينة، وقصة استماع الجن للقرآن كان بمكة قبل الهجرة، وحديث ابن عباس صريح في ذلك فيجمع بين ما نفاه وما أثبته غيره بتعدد وفود الجن على النبي صلى الله عليه وسلم.

فأما ما وقع في مكة: فكان لاستماع القرآن والرجوع إلى قومهم منذرين كما وقع في القرآن.

وأما في المدينة: فللسؤال عن الأحكام، وذلك بيّن من حديث أبي هريرة وابن مسعود، ويحتمل أن يكون القدوم الثاني كان أيضا بمكة وهو الذي يدل عليه حديث ابن مسعود، وأما حديث أبي هريرة فليس فيه تصريح بأن ذلك وقع بالمدينة، ويحتمل تعدد القدوم بمكة مرتين وبالمدينة أيضا.

قال البيهقي: حديث ابن عباس حكى ما وقع في أول الأمر عندما علم الجن بحاله صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم ثم أتاه داعي الجن مرة أخرى فذهب معه وقرأ عليهم القرآن كما حكاه عبد الله بن مسعود.

(٢) هذا القيد بسورة الجن صحيح، وأما ما عداها كسورة الرحمن فقد شعر بهم وأسمعهم وقصدهم، وكذلك لما أتاه داعي الجن وقرأ عليهم القرآن.

(٣) ذكره ابن حجر في الفتح (٨/٦٧٠) وزاد فقال: ويؤيده قوله: إن الجن رأوه يصلي بأصحابه صلاة الفجر، والصلاة المفروضة إنما شرعت ليلة الإسراء، والإسراء كان على الراجح قبل الهجرة بسنتين أو ثلاث، فتكون القصة بعد الإسراء، لكنه مشكل من جهة أخرى، لأن محصل ما في الصحيح وما ذكره ابن إسحاق: أنه صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى الطائف لم يكن معه من

في هذا السّياق ما يخالف ما ذكرناه عن البخاري ومسلم، فلعلّ استماعهم في الصّلاة حصل مرّتين، وتحقيق ذلك لا غرض فيه، والمتّفق عليه من ذلك قد نطق به الكتاب العزيز وهو استماعهم لقراءته وإيمانهم به، وفي الكتاب العزيز زيادة على ذلك وهو رجوعهم إلى قومهم منذِرين وقولهم لهم، وهو ظاهر الدّلالة في تعلّق الشّريعة بهم فلذلك ذكرنا حديث ابن عباس في الأدلّة على ذلك، وتعلّق السّائل به في ضدّ ذلك سنجيب عنه إن شاء الله.

ولو لم يثبت في قصّة الجنّ إلا حديث ابن عبّاس لكفى لإسماعهم القرآن كافٍ في وصول الشّريعة إليهم، وقد قامت الأدلّة على عمومها من غيره، والنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قاصدٌ التّبليغ لكلّ مَن أُرسِل إليه، فمجرّد وصول ذلك البلاغ إليه كان شَعَر به النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أم لم يشعر، وقد أعْلَمه الله تعالى به في كتابه فعلم حصول البلاغ لهم.

وإنّما قلنا ذلك لئلاّ يقول قائلٌ: لو كان رسولاً إليهم لَقَصد إبلاغهم.

فجوابه: ما ذكرناه وإنّ البلاغ قد حصل بإعلام الله تعالى له وهو كافٍ، كما يحصل لمن في أطراف الأرض من الإنس.

وروى مسلم في صحيحه قال: حدثنا محمّد بن المُثَنَّى قال حدثني عبد الأعلى عن داود عن عامر قال: «سألت عَلْقَمَة: هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليلة الجنّ؟ قال: لا، ولكنّا كنّا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذات ليلةٍ

= أصحابه إلا زيد بن حارثة، وهنا قال: أنه انطلق في طائفة من أصحابه، فلعلها كانت وجهة أخرى، ويمكن الجمع بأنه لما رجع لاقاه بعض أصحابه في أثناء الطريق فرافقوه.

وقال أيضاً (١٧٢/٧): وقول من قال: إن وفود الجن كان بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف ليس صريحا في أولية قدوم بعضهم، والذي يظهر من سياق الحديث الذي فيه المبالغة في رمي الشهب لحراسة السماء من استراق الجن السمع دال على أن ذلك كان قبل المبعث النبوي وإنزال الوحي إلى الأرض، فكشفوا ذلك إلى أن وقفوا على السبب، ثم لما انتشرت الدعوة وأسلم من أسلم، قدموا فسمعوا فأسلموا وكان ذلك بين الهجرتين، ثم تعدد مجيئهم حتى في المدينة.

ففقدناه فالتمسناه بالأودية والشِّعاب، فقلنا: استُطِير أو اغتِيل، فَبِتْنا بِشَرٍّ ليلةٍ باتَ بها قومٌ، فلمّا أصبحنا إذا هو جاء من قِبَل حِراء فقلنا: يا رسول الله طلبناك ففقدناك فَبِتْنا بِشَرٍّ ليلةٍ باتَ بها قومٌ، فقال: أتاني داعيَ الجنّ فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن، قال: فانطلقَ بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزّاد فقال: لكم كلّ عَظْمٍ ذُكِر اسم الله عليه يقع في أيديكم أَوْفَر ما يكون لحماً، وكلّ بَعْرَةٍ عَلَف لِدَوابِّكم، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: فلا تستنجوا بهما فإنّهما طعام إخوانكم»[1].

وفي رواية أخرى عند مسلم: قال الشَّعْبي: «وكان من جنّ الجزيرة»[2] ... إلى آخر الحديث من قول الشّعْبي مفصّلاً من حديث عبد الله.

وفي رواية أخرى عنده عن عبد الله قال: «لم أكن ليلة الجنّ مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وَوَدِدْت أنّي كنت معه»[3].

ومعنى هذا أنّه وَدَّ لو كان معه عند ذهابه إليهم، وليس معناه أنّه لم يكن معه مطلقاً تلك اللّيلة؛ لأنّه قد تقدّم أنّه كان هو والصّحابة معه، وجميع هذه الرّوايات متّفقةٌ على أنّ داعِيهم أتى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ذهب إليهم قاصداً واجتمع بهم وقرأ عليهم القرآن وهي واقعةٌ أخرى بلا شكٍّ غير الواقعة التي رواها ابن عباس المذكورة في القرآن.

وفي سنن أبي داود عن ابن مسعود أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال له ليلة الجنّ: «ما في إداوَتِك قال: نبيذ، قال: تمرةٌ طيّبةٌ وماءٌ طهورٌ»[4] وقد تكلّم في هذا الحديث أبو

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن (٦٨٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن (٦٨٢).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن (٦٨٣).

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الطهارة باب ما جاء في الوضوء بالنبيذ (٨١) وقال: فيه أبو زيد رجل مجهول عند أهل الحديث لا تعرف له رواية غير هذا الحديث، وأبو داود في كتاب الطهارة باب الوضوء بالنبيذ (٧٧)، وابن ماجه في كتاب الطهارة باب الوضوء بالنبيذ (٣٧٨-٣٧٩)، وأحمد في كتاب مسند المكثرين من الصحابة باب مسند عبد الله بن مسعود (٣٥٩٤-٤٠٦٩-٤١٢٣).

زُرْعَة وغيره[١]، وبيّنوا أنّه ليس بصحيحٍ وهو كما قالوه، فلا يعارض ما في الصّحيح من أنّه لم يكن معه.

وفي البخاري، ومسلم: عن ابن مسعود: «أنّه آذَنَتْه، يعني النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بهم شجرةٌ»[٢].

وهذا كأنّه إشارةٌ إلى القصّة التي رواها ابن عباس، ولم يُخَرِّج البخاري عن ابن مسعود في قصّة الجنّ إلا هذه القطعة.

وفي البخاري وحده: عن أبي هريرة: عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «وإنّه أتاني وَفْد جنّ نَصِيبين ونِعْم الجنّ، فسألوني الزّاد فدعوت الله لهم أن لا يمُرُّوا بعظْمٍ ولا رَوْثَةٍ إلا وجدوا عليها طعاماً»[٣].

وهذا الحديث وحده لا يدلّ، فإنّه يحتمل إن يكون قراءته عليهم القرآن للاتّعاظ به وسؤاله لهم الزّاد.

وجوابهم قد بيَّنَه أبو هريرة بالدّعاء، فقد يكون ذلك مباحاً لهم بالأصل أو بشريعةٍ أخرى أو لا يكونوا مكلّفين بذلك الفرع الخاصّ، فدعا لهم بما يحصل به الزّاد لهم، وليس في ذلك تعلّق حُكْم لهم لكنّ الأدلّة المتقدّمة تكفي في تعلّق الأحكام بهم، فيحتمل قراءة القرآن عليهم في هذا الحديث وإطلاق الزّاد لهم على ذلك، وقد يكون بعض الأدلّة لا يدلّ بمفرده فإذا انضمّ إلى غيره بَانَ المقصود منه وحصلت الدّلالة، وما نحن فيه من هذا القَبِيل.

ورُوي من طريق عن النّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم: «أنّه قرأ سورة الرّحمن أو قُرِئَت عنده

---

(١) انظر عون المعبود لأبي الطيب الآبادي (١/١٠٧-١٠٨)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (١/٢٤٦-٢٤٧)، وابن حجر في فتح الباري (١/٣٥٤) وقال: هذا الحديث أطبق علماء السلف على تضعيفه، وقيل على تقدير صحته: أنه منسوخ؛ لأن ذلك كان بمكة، ونزول قوله تعالى: (فلم تجدوا ماء فتيمموا) إنما كان بالمدينة بلا خلاف.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب ذكر الجن (٣٥٧٠)، ومسلم في كتاب الصلاة باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن (٦٨٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب ذكر الجن (٣٥٧١).

فقال: ما لي أسمع الجنّ أحسن جواباً منكم، قالوا: وماذا يا رسول الله، قال: ما أتيْت على قول الله: (فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان)[١] إلا قالت الجنّ: لا بشيءٍ من نعمة ربّنا نكذّب» كذا رواه ابن جرير الطّبَرِي بهذا اللفظ من حديث إسماعيل بن أُمَيَّة عن نافع عن ابن عمر[٢]، ورواه غيره من حديث جابر[٣].

وهذا الجواب من الجنّ: إمّا أن يكون لمّا قرأ عليهم النّبيّ صلّى الله عليه وسلم ليلة الجنّ أو غيرها، وإمّا أن يكونوا حاضرين عنده في مجلسه مع الصّحابة والصّحابة لا يروْنهم، فإنّ في اللّفظ الذي ذكرناه عن ابن جرير ما يُشعِر بذلك.

وأياًّ ما كان فظاهره أنّ الخطاب لهم وللإنس، والنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم مُبَلِّغٌ لهم عن الله تعالى وذلك معنى الرّسالة.

وقول الفَرَّاء وابن الأنْبارِي: إنّ قوله: (تكذّبان) من خطاب الواحد بخطاب الاثنين بعيدٌ، وجمهور المفسّرين على خلافه وأنّه خطابٌ للثّقلين.

فهذا ما حضرني من الأدلّة لذلك من الكتاب والسّنّة، ولو تتبَّعْت ربّما زاد على ذلك.

ومن الأدلّة أيضاً: أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم خاتَم النّبيِّين، وشريعته آخر الشّرائع،

---

(١) الرحمن الآية (١٣).

(٢) انظر تفسير الطبري (٢٧/١٢٣-١٢٤).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة الرحمن (٣٢١٣) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد، قال ابن حنبل: كأن زهير بن محمد الذي وقع بالشام ليس هو الذي يروى عنه بالعراق، كأنه رجل آخر قلبوا اسمه يعني: لما يروون عنه من المناكير، وسمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: أهل الشام يروون عن زهير بن محمد مناكير، وأهل العراق يروون عنه أحاديث مقاربة، وقال في تحفة الأحوذي (٩/١٢٧): الحديث فيه ضعف لكن له شاهدا من حديث ابن عمر أخرجه ابن جرير، والبزار، والدارقطني في الأفراد وغيرهم، وصحح السيوطي إسناده كما في فتح البيان، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣٧٦٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٤٩٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١١٧) وقال: رواه البزار عن شيخه عمرو بن مالك الراسبي، وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.

وناسخةٌ لكلّ شريعةٍ قبلها، ولا شريعةٌ باقيةٌ الآن غير شريعته، ولذلك إذا نزل عيسى ابن مريم صلّى الله عليه وسلّم إنّما يَحكم بشريعة محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم، فلو لم يكن الجنّ مكلّفين بها لكانوا إمّا مكلّفين بشريعةٍ غيرها وهو خلاف ما تقرّر، وإمّا أن لا يكونوا مكلّفين أصلاً ولم يقل أحدٌ بذلك، ولا يمكن القول به لأنّ القرآن كلّه طافحٌ بتكليفهم قال تعالى: (لأملأنّ جهنّم من الجِنّة والنّاس أجمعين)[١]، وقال تعالى: (في أُممٍ قد خلت من قبلكم من الجنّ والإنس في النّار)[٢] إلى غير ذلك من الآيات، ودخولهم النّار دليل تكليفهم، وهذا أَوْضَح من أن يُقام عليه دليلٌ، فإنّ تكليفهم معلومٌ من الشّرع بالضّرورة وتكليفهم بغير هذه الشّريعة يستلزم بقاء شريعةٍ معها، فثبت أنّهم مكلّفون بهذه الشّريعة كالإنس.

فصل

قال السّائل: فإنّ قوله تعالى: (يا أيّها النّاس إنّي رسول الله إليكم جميعاً)[٣]، (وما أرسلناك إلا كافّة للنّاس)[٤] إلى غير ذلك ظاهرٌ في اختصاص رسالته صلّى الله عليه وسلّم بالإنس، وكذلك قوله صلّى الله عليه وسلّم: «وكان النّبيّ يُبْعث إلى قومه خاصّة، وبُعِثت إلى النّاس عامّة»[٥] واحتمال غير ذلك عدولٌ عن الظاهر.

أقول: دعوى أنّ الأدلّة المذكورة ظاهرةٌ في اختصاص رسالته إلى الإنس ممنوعةٌ، وعَجَبٌ من السّائل الفاضل دعواه ذلك، فإنّ هذا إنّما يُمكن تَمْشيَته على مذهب الدَّقّاق القائل بأنّ مفهوم اللّقَب حجّةٌ، والنّاس من قَبيل اللّقَب، فإنّ المسألة المترجَمَة في الأصول بمفهوم اللّقَب لا تختصّ باللّقَب بل الأعْلام كلّها وأسماء الأجناس كلّها، كذلك ما لم تكن صفة، والنّاس اسم جنسٍ غير صفةٍ فلا مفهوم له.

---

(١) هود الآية (١١٩).

(٢) الأعراف الآية (٣٨).

(٣) الأعراف الآية (١٥٨).

(٤) سبأ الآية (٢٨).

(٥) تقدم.

فقوله: (يا أيّها النّاس إنّي رسول الله إليكم جميعاً)(١) ليس فيه أصلاً ما يُفهم منه أنّه ليس رسولاً إلى غيرهم إلا على مذهب الدّقّاق، بل أقول على مذهب الدّقّاق لا يتمُّ التّمسك بهذا المفهوم أيضاً؛ لأنّ الدّقّاق إنّما يقول به حيث لم يظهر غرضٌ آخر سواه في تخصيص ذلك الاسم بالذِّكْر، وحيث ظهر غرضٌ لا يقال بالمفهوم بل يُحمل التّخصيص على ذلك الغرض، والغرض في الآية التّعميم في جميع النّاس، وعدم اختصاص الرّسالة ببعضهم فلا يَلزم منه نفْيُ الرّسالة عن غيرهم لا على مذهب الدّقّاق ولا على غيره، وإنّما خاطب النّاس لأنّهم الذين تَغْلُب رؤيتهم والخطاب معهم ومجادلتهم، فمقصود الآية خطاب النّاس، والتّعميم فيهم لا النّفي عن غيرهم.

ونظير ذلك قولنا: الله على كلّ شيءٍ قدير، إنّا نعلم أنّ الله تعالى قادرٌ على المعدوم والممكن وليس بشيءٍ، فإنّ المقصود بقولنا: على كلّ شيءٍ قدير، التّعميم في الأشياء الممكنة لا قَصْر الحكم، وقوله تعالى: (وما أرسلناك إلا كافّة للنّاس)(٢) كذلك وفيه زيادةٌ أخرى وهي: تقديم قوله: (كافّة) على قوله: (للنّاس) فإنّ ذلك أفاد أنّه ليس المقصود حَصْر الرّسالة في النّاس حتّى يكون التّقدير: وما أرسلناك إلى أحدٍ إلا للنّاس، هذا لم تنطق به الآية ولا أَفْهَمَتْه بل أشارت إلى خلافه بتقديم: (كافّة) وبالعدول في (النّاس) عن (إلى) إلى اللاّم، فصار مقصود الآية إثبات عموم الرّسالة ونفْيُ خصوصها، فإنّ الرّسالة أنواع: منها: خاصٌّ، ومنها: عامٌّ، فصار التّقدير: وما أرسلناك من الرّسالات إلا رسالةً عامّةً كافّةً لجميع النّاس، فلا يتوهّم أحدٌ أنّها خاصّة ببعض النّاس وحينئذٍ لا تَعَرُّض فيها للجنّ الْبَتَّة.

وكذلك قوله صلّى الله عليه وسلّم: «فكان النّبيُّ يُبْعَث إلى قومه خاصّةً، وبُعِثت إلى النّاس عامّة»(٣) والكلام فيه كما سبق حرفاً بحرفٍ.

---

(١) الأعراف الآية (١٥٨).

(٢) سبأ الآية (٢٨).

(٣) تقدم.

وقول السّائل: إنّ احتمال غير ذلك عدولٌ عن الظّاهر ([1]).

هذا كلّه إذا قلنا: إنّ النّاس لا يشمل الجنّ وهو الظّاهر، وقد قال بعض النّاس: إنّ اسم النّاس قد يطلق على الجنّ، فعلى هذا تكون الأدلّة المذكورة لنا لا للسّائل.

وقد قدّمنا: أنّ الحديث المذكور صحّ فيه لفظة: «الخلق» موضع «النّاس» وهي أعَمُّ، وأنّ الحديثين مَخْرَجَهُما مختلفٌ، وأحدهما خاصٌّ والآخر عامٌّ، والعامُّ والخاصُّ إذا كانا اثنين لا يقضى بالخاصِّ على العامِّ بل يقضى بالعامِّ على الخاصِّ، ويكون الآخر ذَكَر بعض أفراد العموم، وذِكْر بعض أفراد العموم لا يقتضي تخصيصه على المذهب المنصور في الأصول الذي لم يخالف فيه إلا الشّذوذ.

فصل

قال السّائل: وثبت في الصّحيحين: عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال: «لم ير النّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم الجنّ ولا تلا عليهم القرآن»[2].

أقول: ليس ذلك في الصّحيحين وإنّما هو في صحيح مسلم[3] كما قدّمناه وهو بغير هذا اللّفظ وإن كان قريباً من معناه، ومسلم رواه صَدْر حديث ابن عباس وذكر عَقِيبَه قصّة الجنّ واستماعهم القرآن فأَشْعَر بمراد ابن عبّاس أنّ النَّفيَ المراد به في تلك المرّة، فاقتطاع هذه اللّفظة وروايتها عن ابن عبّاس حتّى توهّم انتفاء رؤية النّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم للجنِّ مطلقاً وقراءته عليهم ليس بجيّد، وربّما يُوهِم بعض ذلك أنّ النّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم لم يجتمع بهم أصلاً، وقد ثبت اجتماعه بهم في حديث ابن مسعود الذي لا مَطْعَن فيه، وثبت بلوغ القرآن لهم في حديث ابن عبّاس الموافق لنصِّ القرآن.

فأجابني السّائل: من أين يتعلّق بهذا الكلام، وقصّة الجنّ أجمع عليها المحدِّثون وأهل السِّيَر فلم يبق أحدٌ من أهل الأخبار إلا رواها ولا من المفسّرين إلا ذكرها، وإنّما اختلفوا في أنّها كانت مرّة أو مرّتين، وأنَا لا أشكّ في أنّها كانت مرّتين بحديث ابن مسعود وابن

---

(١) يوجد بين القوسين كلام زائد حذفته وهو قوله: [غير العدول عن الظّاهر].

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

عبّاس، وإنّما أشكّ في أنّها هل كانت أكثر من ذلك أو مرّتين خاصّة.

فصل

قال السّائل: فإن ثبت أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ادّعى الرّسالة إليهم زال الإشكال ووجب الإيمان.

أقول: قد ثبت ذلك في حديث مسلم الذي قال فيه: «بُعِثْت إلى الخلق كافّةً»(١) والعامُّ حجّةٌ وليس من الثّبوت أن يكون بالصّريح بل قد يكون بالعموم، وهو حاصلٌ هنا، وقد ذكرنا ما هو صريحٌ من طريق وَثِيمة بن موسى ولكنّه لم يعلم ثبوته، وذكرنا قوله: «الأحمر والأسود»(٢) واختلاف النّاس في تفسيره، والعُمْدة حديث مسلم.

فصل

قال السّائل: إذ لا سبيل إلى معرفة ذلك إلا من جهته.

أقول: كلّ خيرٍ لا سبيل لنا إليه إلا من جهته صلّى الله عليه وسلّم، إمّا أن يكون ناصاً عليه بقوله، وإمّا أن يكون وارداً على لسانه في الكتاب العزيز، وإمّا أن يكون مُسْتَنْبَطاً من ذلك.

فإن أراد السّائل: لا سبيل لنا إلى ذلك إلا من جهته بإحدى هذه الطّرق.

فنقول: هو حاصلٌ بما قدّمناه من الآيات والاستنباط والحديث العام، وإن أراد أن يكون من جهته نصّاً صريحاً على عدم دعواه الرّسالة إليهم فلا يُشترط ذلك، كما أنّ كثيراً من الأحكام الشّرعية لم ينصّ عليها صريحاً ويثبت بالقرآن أو بحديثٍ عامٍّ أو باستنباطٍ من قاعدةٍ من قواعد الشّرع وذلك كلّه من جهته صلّى الله عليه وسلّم.

فصل

قال السّائل: وإلا فهل يجوز التّقليد في ذلك أم يكفي الإيمان به وبما جاء به، فيكون ذلك من قَبيل المطلوب فيه الإيمان الإجمالي لا التّفصيلي؟.

---

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

أقول: قد قدّمنا الكلام في وجوب الإيمان بذلك ونقول هنا:

إنّ النّاس على أقسامٍ منهم:

عاميٌّ لم تخطر بباله هذه المسألة، أو خطرت بباله وما اعتقد فيها شيئاً لجهله، فهذا لا شيء عليه لأنّه لم يكلّف بذلك لكن يُشترط أن ينطق بشهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله ولا يخصِّصها، فمتى خصَّصها فقال: إلى الإنس خاصّةً فسنتكلم عليه.

ومنهم: عاميٌّ اعتقد فيها خلاف الحقّ لشبهةٍ أو تقليد جاهلٍ، فهذا اعتقاده هذا خطأ يجب عليه النّزوع عنه، وأن يسأل أو يبحث لِيَظْهَر له الصّواب، وهذا بإصراره على هذا الاعتقاد والخطأ عاصٍ لأنّه من أصول الدّين الذي لا يُعْذَر بالخطأ فيه، والفقيه إذا اعتقد في هذه المسألة خلاف الحقّ لشبهةٍ أو تقليدٍ لجاهلٍ عاصٍ أيضاً كالعاميّ بل هو عاميٌّ فيها.

ومحلُّ الحكم فيها بالعصيان فقط وصحّة الإيمان إذا أَطلقا شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله، فإن خصَّصَا وقالا: إلى الإنس فقط فأخشى عليهما الكفر، فإنّ الإسلام الذي بيَّنه الشّارع بالشّهادة المطلقة لا المقيَّدة.

ومنهم: من اعتقد الصّواب في ذلك من عاميٍّ أو فقيهٍ لا عن دليلٍ بل تقليد محضٍ فيكفيه ذلك وليس بعاصٍ؛ لأنّه لم يقم دليلٌ على إيجاب اليقين في أمثال هذه المسألة، ولا هي شرطٌ في الإيمان، فإذا لم يكن للشّخص عِلْم بأدلّة هذه المسألة واقتصر على التّقليد فيها كفاه.

ولا فرْق بين أن يكون اعتقاده على جهة التّقليد جازماً أو غير جازمٍ، فإنّ التّقليد: لفظٌ مشتركٌ بين الاعتقاد الجازم المُطابِق لا لِمُوجِبٍ، وبين قَبول قول الغير بغير حجّةٍ سواء أكان مع الجزم به أم لا، فهذا الثّاني كافٍ هنا ولا يكفي فيما يجب والإيمان به من الوحدانيّة ونحوها.

والأوّل يكفي لأنّ إيمان المُقَلِّد صحيحٌ عند جمهور العلماء خلافاً لأبي هاشم من المُعْتَزِلَة، وكثيرٌ من النّاس يَغْلطُون ويعتقدون أنّ إيمان المُقَلِّد لا يصحّ وقد ثبت هذا في فتوى.

وقلت إنّ النّاس ثلاث طبقات:

عُليا: وهم أهل المعرفة والاستدلال التّفصيلي وهم العلماء، وأهل الاستدلال الإجمالي وهم كثيرٌ من العوام فلا خلاف في صحّة إيمانهم.

ووُسطى: وهم أهل العقيدة المُصَمِّمُون من غير ذلك، ولم يَقُل بكفرهم إلا أبو هاشم.

ودُنيا: وهم المُقَلِّدُون بغير تصميمٍ، ولم يَقُل بصحّة إيمانهم إلا شُذوذ.

ومنهم: من كان عالماً وقد وَصَلَت إليه هذه الأدلّة وله تَمَكُّنٌ من النّظر فيها، فهذا المطلوب منه العِلم بها ويجب عليه الإيمان به قطعاً لعِلْمِه بأدلّتها، وصار بمنزلة مَن سمع مِن النّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم فيجب عليه تصديقه فيه قطعاً.

وأمّا الإيمان الإجمالي فواجب على كلّ أحدٍ بما جاء به النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فلا بدّ منه في هذه المسألة وغيرها، أو يُكتفَى به في هذه المسألة بالنّسبة إلى غير العالِم، ولا يُكتفَى فيه في حقِّ العالِم، وفرض ذلك عُسرٌ لأنّ العالِم متى أحاط علمه بهذه الأدلّة ووجهِ دلالتها حصل له العِلم ولا يُمْكِن تَخَلُّف العِلم عنه بعد ذلك.

نعم لو كان الشّخص له قوّة على النّظر وتَمَكُّنٌ من الأدلّة والوقوف عليها والنّظر ولم يفعل بل اقتصر على محضِ التّقليد فالذي يظهر لي أنّه لا يعصي بذلك ويكفيه التّقليد، وأمّا إذا لم يقلِّد ولكن توقّف فلم يعتقد فيها شيئاً مع تَمَكُّنِه من إدراك ذلك فهو محلُّ نظرٍ.

ويَترجّح أيضاً: أنّه غير مَأثُوم لعدم قيام الدّليل على وجوب ذلك بخلاف ما إذا اعتقد غير الحقّ فإنّ ذلك يكون لتقصيره، والإقدام بغير دليلٍ خطأ بخلاف التّوقُّف فيما لا يجب كما أتى في الفروع.

نقول: من أقدم على فعلٍ بغير علمٍ بحكمه يكون مأثُوماً، ومَن توقّف عنه لا يكون مأثُوماً.

فصل

قال السّائل: وهل يصحّ استدلال بعض العلماء في هذه المسألة بقوله تعالى: (أجيبوا

داعيَ الله وآمنوا به)[١] الآية، وبسورة الجنّ وقوله تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين)[٢]، (تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً)[٣]، (قل يا أيّها النّاس إنّي رسول الله إليكم جميعاً)[٤] قال: والجنّ يُسَمَّوْن ناساً، ثبت في الصحيح أنّه صلّى الله عليه وسلّم قال: «وأُرْسِلْت إلى الخلق كافّة»[٥]، وأنّه أتاه داعيَ الجنّ وقرأ عليهم القرآن وحَكَمَ بينهم، وأنّه تحدّاهم بالقرآن كما تحدّى الإنس به، وأنّه أَحلَّ لهم كلَّ طعامٍ لم يُذكر اسم الله عليه، وحَرَّم الاستنجاء بالعظم والرَّوْث من أجلهم، وأنّ الرُّسُل إليهم لم يكونوا إلا من الإنس، فإذا ثبت إرسال من تقدّم إليهم فخاتَم النَّبيِّين أَوْلى وأحرى، وأنّ الإجماع مُنْعَقِدٌ على كونه صلّى الله عليه وسلّم مبعوثاً إليهم، وما ثبت عن ابن عبّاس فذلك ممّا خَفِيَ عليه كما خَفِيَت أحكامٌ كثيرة على آحاد الصّحابة، هل يَنْتَهِض ذلك دليلاً على المطلوب؟.

أقول: أمّا استدلاله بقوله تعالى حكايةً عن الجنّ: (أجيبوا داعيَ الله وآمنوا به)[٦] فاستدلال صحيحٌ وقد تقدّم، وكذلك سورة الجنّ.

وأمّا الاستدلال: بقوله تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين)[٧] فمحتملٌ ولكنّه ليس بالقويِّ؛ لأنّ الرَّحمة أعَمُّ من الرّسالة، وقد ورد عن النّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال لجبريل عليه السّلام: «هل نَالَكَ من تلك الرّحمة شيءٌ، قال: نعم»[٨].

والاستدلال: بقوله تعالى: (ليكون للعالمين نذيراً)[٩] من أصحّ ما يكون.

---

(١) الأحقاف الآية (٣١).
(٢) الأنبياء الآية (١٠٧).
(٣) الفرقان الآية (١).
(٤) الأعراف الآية (١٥٨).
(٥) تقدم.
(٦) الأحقاف الآية (٣١).
(٧) الأنبياء الآية (١٠٧).
(٨) أخرجه السيوطي في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا (٣١) وقال: لم أجده.
(٩) الفرقان الآية (١).

وقد تقدّم الاستدلال: بقوله تعالى: (يا أيّها النّاس إنّي رسول الله إليكم جميعاً)[١] وإنّ الجنّ يُسَمَّوْن ناساً وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق لكن تسمية الجنّ ناساً مُخْتَلَفٌ فيه، والخلاف مبنيٌّ على الخلاف في اشتقاق النّاس هل هو من النّوس؟ وهو الحركة، أو من الإيناس بمعنى الإبصار، أو من الأُنْس الذي هو ضدّ الوَحْشَة.

ومَن يقول بتسميتهم ناساً: فالظّاهر أنّه لا يقول إنّ ذلك ظاهر الإطلاق بل قد يكون كذلك والأغلب خلافه، والحمل على العُرْف الأغلب أوْجَب، والجَوْهَرِيُّ[٢] ذكر باب أنس ولم يذكر فيه ذلك، وذكر باب نوس[٣]: وذكر فيه: إنّ النّاس قد يكون من الإنس والجنّ، فأشار إلى أنّه من الشّيء القليل، وبإدخاله في هذا الفصل إلى أنّه مأخوذٌ من النّوس، وقال في باب أنس[٤]: إنّ الأناس لغةٌ في النّاس وكثيرٌ من النُّحاة يقولون: إنّ النّاس أصله الأناس وأنّه ممّا حُذفت فيه الهمزة، ومنهم مَن يَحكي في ذلك قولين.

ويتلخَّص من مجموع كلامهم: إنّ النّاس لفظٌ واحدٌ في الصّورة وهو في التّقدير لفظان:

أحدهما: أناس مأخوذٌ من أنس، إمّا بمعنى أَبْصَرَ، وإمّا ضدّ أَوْحَشَ، وعلى كِلا المعنيين لا يطلق على الجنّ لأنّا لا نَبْصُرهم ولا نَأْنَس بهم.

والثّاني: مأخوذ من نُوس بمعنى الحركة، وعلى هذا يطلق على الفريقين ولكن الاستعمال له في الإنس أغلب، فهما لفظان مشتقّان من أصلَيْن مشتقٌّ منهما، ولمّا حصل الحذف في أحد المشتقّيْن والقَلْب في الآخر صارًا على صورة لفظٍ واحدٍ.

وإذا عرفت هذا فقوله: (يا أيّها النّاس) وشِبْهُه يحتمل أن يكون مأخوذاً من الأنس فلا يطلق على الجنّ الْبَتَّة، ويحتمل أن يكون مأخوذاً من النُّوس فيطلق عليهم قليلاً، فدخول الجنّ في الآية إمّا مُمْتَنِعٌ، وإمّا قليلٌ فلا يُحمل عليه، وبهذا بَانَ ضَعف الاستدلال

---

(١) الأعراف الآية (١٥٨).

(٢) انظر الصحاح للجوهري (٣/٩٠٦).

(٣) انظر الصحاح للجوهري (٣/٩٨٧).

(٤) انظر الصحاح للجوهري (٣/٩٠٥).

بها لكنّها لا تدلّ على خلافه أيضاً لما قدّمناه.

ومن المواضع التي ادّعى بعض المفسّرين دخول الجنّ في لفظ النّاس في قوله تعالى: (في صدور النّاس من الجِنّة والنّاس)[١] وتُجعل "مِن" بياناً للنّاس والمُوَسْوَس في صدورهم، والأكثرون على خلافه وإنّها بيان للخنّاس.

واستدلاله: بقوله صلّى الله عليه وسلّم: «وأُرْسِلْت إلى الخلق كافّة»[٢] صحيحٌ قويٌّ وقد تقدّم وأنّه في صحيح مسلم.

واستدلاله: بأنّه أتاه داعيَ الجنّ وقرأ عليهم القرآن وحده لا يكفي لاحتمال أنّهم أرادوا الموعظة، ولكن إذا انضمّ إلى غيره قَرُبَ.

وقوله: إنّه حَكَم بينهم، إن أراد بإجابتهم في الزّاد والعظم والرَّوْث فصحيحٌ على ما سبق بيانه مع توقّفٍ في الاستدلال به وحده، وإن أراد الحُكم بينهم في دعوى من بعضهم على بعضٍ فلا أستحضرها، ولو اتّفق مِثل ذلك دلّ على عموم الرّسالة إليهم.

وقد فَكَّرْت في حديث أبي هريرة: «لمّا وَكَّلَه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لحفظ زكاة رمضان وأتاه الشّيطان لِيَسْرُق منها، وقول أبي هريرة: لأَرْفَعَنَّك إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم»[٣] لكنّ أبا هريرة لم يعرفه إلا بعد أن أعلمه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم به بعد ذلك، ولم يتّفق رَفْعُه حتّى نعلم ما كان يفعله صلّى الله عليه وسلّم لمّا أخبره في المرّة الأُولى بإمساكه وَرَفْعِه إليه، ومجرّد إمساك أبي هريرة له عن السّرقة من باب دفْعِ الصَّائِل وهو جائزٌ سواءٌ تعلّق به حُكْمٌ أم لا كما يدفع الصّبيَّ والبهيمة فلهذا لم أَسْتَدِلّ بها، ولو اتّفق رَفْعه إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وحُكْمه عليه لم أتوقّف في الاستدلال به.

وليس لقائل: ذلك لِحُكْم الحاكم على مقتضى اعتقادهم، وإن كان الخصم لا يعتقده ولا يلزمه قبل الحُكم كحُكم الشّافعيّ على الحنفيّ وعكسه؛ لأنّ تلك أمورٌ مظنونةٌ

---

(١) النّاس الآية (٥-٦).

(٢) تقدم.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده (٣٠٣٣)، وفي كتاب فضائل القرآن باب فضل سورة البقرة (٤٦٢٤).

فالشّافعي يحكم على الحنفيّ بمقتضى ظنّه وإن كان الحنفيُّ مكلّفاً قبل الحُكم بمقتضى ظنِّه.

وأمّا هنا فالأمر مقطوعٌ به والنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يعلم حُكم الله تعالى في حقّ كلّ أحدٍ، ولا يَحكم على أحدٍ إلا بحُكم الله عليه وهو شيءٌ واحدٌ مقطوعٌ به قبل الحُكم وبعده، فلو رُفِع إلى نبيٍّ من الأنبياء المتقدّمة على زمان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم رجلٌ ليس من أمّته، ويَعلم أنّ الله لم يرسِله إليه وأرسَل إليه غيره ممّن حَكم ذلك الفرع الذي رُفع إليه في شرعه يخالف حُكمه في شرع ذلك النّبيّ المرفوع إليه.

فالذي يظهر أنّ ذلك النّبيّ لا يَحكم عليه بل نقول هذا حُكم ما فعل فلو حَكم عليه ذلك النّبيّ في ذلك الفعل وجب علينا أن نعتقد أنّ ذلك حُكم الله في حقّه، إمّا برسالة ذلك النّبيّ إليه، وإمّا بموافقته لشرع نبيِّه وأَمْر الله له بالحُكم بها، والنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لم يَحكم بشريعةٍ أخرى لنسخ شريعته لسائر الشّرائع فلم يبق إلا أن تكون شريعته وأنّ حكمها لازمٌ لهم.

والاستدلال: بأنّه تحدّاهم بالقرآن كما تحدّى الإنس به.

قد ذكره غير هذا القائل ممّن صنّف في ذلك واستدلّ بقول الله تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله)[١] وهذا الاستدلال عندي ليس بالقويِّ؛ لأنّه قد يكون المقصود بذلك تحدِّي الإنس فقط والمبالغة في تعجيزهم بعجز مَن هو أقوى منهم وأقْدر وأذْكى.

والاستدلال: بأنّه أَحلّ لهم كلّ طعامٍ لم يُذكر اسم الله عليه[٢].

---

(١) الإسراء الآية (٨٨).

(٢) أخرجه أبو نعيم في مسنده المستخرج على صحيح مسلم (٩٩٦)، وأبو عوانة في مسنده (١٨٦-٢١٩)، والطيالسي في مسنده (٣٧/١)، وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي (١٠١/٩): قوله: كل عظم لم يذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما كان لحما، وفي رواية مسلم: لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما، وفي هاتين الروايتين تخالف ظاهر ويمكن أن يجمع بينهما بأن المراد بقوله: ذكر اسم الله، عليه أي: ثم الذبح، وبقوله: لم يذكر اسم الله عليه يعني: ثم الأكل، وإلا فما في الصحيح هو أصح.

إن ثبت هذا الحديث بهذا اللّفظ كان فيه دليل؛ لأنّ الإحلال من جملة الأحكام فإذا أَحلّ لهم فقد تعلّق بعض أحكام شريعته بهم وهذا هو المطلوب، لكن الذي أعرفه في الصّحيح ما تقدّم من أنّه قال: «لكم كلّ عظمٍ ذُكر اسم الله عليه»[1] وصيغته لكم ليست صريحة في الإحلال فقد يكون وَسَّعَ عليهم بدعائه بعد ضِيق.

والاستدلال: بتحريم الاستنجاء بالرَّوْث والعظم من أجلهم ليس بجيّد، فإنّ التّحريم متعلّق بنا لا بهم.

والاستدلال: بأنّ الرّسُل إليهم لم يكونوا إلا من الإنس لا أرْتَضيه، وإن كان قد يحسن لأنّ كون الرّسل إليهم لم يكونوا إلا من الإنس مختلفٌ فيه، وما نحن فيه مُجْمَعٌ عليه ولا حاجة إلى الاستدلال المُجْمَع عليه بالمختلف فيه.

والخلاف المشار إليه هو قول الضّحّاك المُفَسِّر: إنّ الرّسل إلى الجنّ منهم لقوله تعالى: (يا معشر الجنّ والإنس ألم يأتـــكم رسلٌ منكم)[2] فقال الضّحّاك ومَن تبعه بذلك وهو ظاهر الآية.

وقال الأكثرون: لم تكن الرّسل إلا من الإنس، والكلام في ذلك يطول وليس هذا مَحلّه[3].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن (٦٨٢).

(٢) الأنعام الآية (١٣٠).

(٣) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٣/١٢٥): اختلفوا في الرسالة إلى الجن على أربعة أقوال:

أحدها: إن الرسل كانت تبعث إلى الإنس خاصة، وأن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الإنس والجن. رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: إن رسل الجن هم الذين سمعوا القرآن فولّوا إلى قومهم منذرين. روي عن ابن عباس أيضا، وقال مجاهد: الرسل من الإنس، والنذر من الجن، وهم قوم يسمعون كلام الرسل فيبلغون الجن ما سمعوا.

والثالث: إن الله تعالى بعث إليهم رسلا منهم كما بعث إلى الإنس رسلا منهم. قاله الضحاك ومقاتل وأبو سليمان وهو ظاهر الكلام.

والرابع: إن الله تعالى لم يبعث إليهم رسلا منهم، وإنما جاءتهم رسل الإنس. قاله ابن جريج والفراء والزجاج.

ويتضح من هذه الأقوال الأربعة أمران:

ولم يَقُل الضّحّاك ولا أحدٌ غيره باستمرار ذلك في هذه المِلّة، وإنّما محلُّ الخلاف في ذلك في المِلَل المتقدّمة خاصّةً، وأمّا في هذه المِلّة فمحمّدٌ صلّى الله عليه وسلّم هو المرسَل إليهم وإلى غيرهم، والاستدلال بالإجماع في ذلك صحيحٌ، وممّن نصّ على الإجماع في ذلك: أبو طالب عَقيل بن عطيّة القَضاعي، وقد نَبَّه على ذلك أبو عمر ابن عبد البَرّ في التّمهيد[١]، وكذلك فعل أبو محمد بن حزْم في كتاب الفَصْل[٢]، وكثيراً ما يذكر العلماء في مصنَّفاتهم كونه صلّى الله عليه وسلّم مبعوثاً إلى الثّقلين، وربّما يوجد ذلك في صدور تواليفهم[٣].

قلتُ: وقال إمام الحَرَمَيْن في الإرشاد[٤] في الرّدِّ على العِيسَوِيَّة: وقد علمنا ضرورة أنّه صلّى الله عليه وسلّم ادّعى كونه مبعوثاً إلى الثّقلين.

وقال إمام الحَرَمَين أيضاً في الشّامل في الرَّدِّ على العِيسَوِيَّة: فإن قال قائلٌ: فما دليلكم على أنّه كان مبعوثاً إلى كافّة الإنس والجنّ؟.

الأول: الإجماع على أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أرسل رسولا إلى الجن والإنس، لكن اختلفوا في المنذرين عنه، فبعضهم قال: المنذرين من الإنس، وبعضهم قال: من الجن، ويتضح ذلك من القول الثاني والرابع.

الثاني: إن الله تعالى بعث إليهم منهم كما بعث إلى الإنس رسلا منهم، وهذا القول نسب إلى الضحاك. وفي نسبته إليه شك من جهتين:

الأول: أن من عزاه إلى الضحاك إنما ذكره من غير تحقيق واختصر كلامه اختصارا.

الثاني: أن الطبري ذكره مفصلا عن الضحاك (٣٦/٨) وقال: سئل الضحاك هل كان فيهم نبيٌّ قبل أن يُبعث النّبيّ ﷺ ؟، فقال: ألم تسمع إلى قول الله تبارك وتعالى: (يا معشر الجن والإنس)؟!، يعني بذلك رسلاً من الإنس ورسلاً من الجنّ، قالوا بلى.

وبهذا القول يبين مقصود الضحاك بقوله: قبل أن يبعث النبي ﷺ، وأما بعد بعث النبي ﷺ فالكل منضو تحت رسالته من إنس وجن.

(١) انظر التمهيد لابن عبد البَرّ (١١/١١٧).

(٢) انظر الفصل في الملل والأهواء والنِّحَل للإمام ابن حزم الظاهري (٥/١٢).

(٣) انظر آكام المرجان في أحكام الجان للإمام الشبلي (٣٥-٣٦)، ولقط المرجان في أحكام الجان للإمام السيوطي (٧١-٧٢)، وكتاب أصول الدين للإمام أبي منصور البغدادي (١٦٣).

(٤) انظر كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للإمام الجُوَيْني (١٤٤).

قلنا: من اعترف بنبوّته وأَقَرَّ بوجوب صِدْق لهجته واستسلم لقضيّة معجزته فثبت ما تَرُومُه من بعثته إلى الكافّة يثبت على الفَوْر، وذلك إنّا نعلم ضرورة وبدِيهة أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم كان تعلُّق دعوته لمن على بسيط الأرض، ولا يخصِّصها بقومٍ دون قوم وهذا ممّا نُقِل تواتراً منه، كما نُقِل أنّه كان يأمر بالصّلوات الخمس.

وإبطال إمام الحرمين في ذلك رَداً على العِيسَوِيَّة لا ضرورة بنا إلى نَقْل بقيّة كلامه هنا.

وقول ذلك المستدلّ: فيما ثبت عن ابن عبّاس أنّ ذلك ممّا خَفِيَ عليه.

لا حاجة إليه لأنّا قد حملنا كلام ابن عبّاس على مَحْمَلٍ صحيحٍ، وهو أنّه أراد في تلك المرّة، وهذا أَوْلى من أن نقول أنّه خَفِيَ عليه ذلك.

ولو فرضنا أنّه خَفِيَ عليه حديث ابن مسعود المذكور في ليلة الجنّ أَتَرَى يَخفى عليه ما في سورة الأحقاف وسورة الجنّ وما فيهما من الدّلالة على ذلك، فإنّما يمكن أن يَخفى عليه حديث ابن مسعود خاصّةً لا حُكم من الأحكام حتّى يُشبَّه بالأحكام التي خفيت على آحاد الصّحابة.

وحديث ابن مسعود ليس فيه حُكم هذه المسألة صريحاً بل هو في غيره أظهر منه كما تقدّمت الإشارة إليه، فيجب أن لا تطلق هذه العبارة ههنا فإنّه ليس مَحَلّها ولكلّ مقامٍ مقال.

وقول السّائل: هل يَنهض ذلك دليلاً على المطلوب؟

جوابه: قد تبيّن أنّ بعضه يَنْهَض وبعضه لا يَنْهَض، وقد نَهَضَت الأدلّة منه ومن غيره على ذلك.

فصل

قال السّائل: فإنّ الضّمير في قوله: (أجيبوا داعيَ الله وآمنوا به)[1] يرجع إلى القرآن؛ لأنّ ما قبله يدلّ عليه وهو مُصَرَّحٌ به في قوله تعالى: (إنّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى

---

(١) الأحقاف الآية (٣١).

الرّشد فأمنّا به)[١] ، وقوله: (وأنّا لما سمعنا الهدى آمنّا به)[٢] ولا شكّ في وجوب الإيمان بالقرآن على كلّ مكلّف، وبتقدير قوله صلّى الله عليه وسلّم فهو دالٌّ على وجوب الإيمان به، ومطلق الإيمان أعَمُّ من الإيمان بكونه رسولاً إليهم، ولا يَلزم من ثُبوت الأعَمِّ ثُبوت الأخصِّ بل وجوب الإيمان به صلّى الله عليه وسلّم كوجوب الإيمان علينا بموسى وعيسى عليهما السّلام.

أقول: تكلّم السّائل في الضّمير في: (وآمنوا به)[٣] ولم يتكلّم في قوله: (أجيبوا داعيَ الله)[٤] والاستدلال به أَوْضَح، فإن كان يقول: إنّ الدّاعي هو القرآن فَيُبْعِدُه أمور:

أحدها: أنّه لو كان كذلك لقال أجيبوه لتقدّمه في قولهم: (كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحقّ)[٥] فقد تكرّر ذِكْره مُظْهَراً ومُضْمَراً، فلو أُرِيد به الإجابة لَقِيل: أجيبوه، وَوُضِع الظّاهر في مَوْضْع المُضْمَر في مثل هذا على خلاف الأَوْلى.

الثّاني: أنّ القرآن لم تثبت تسميته داعياً في مَوضِعٍ من المواضع، والنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ثبتت تسميته داعياً في مواضع كقوله تعالى: (أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه)[٦].

ولحديثٍ طويلٍ أخرجه البخاري: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «جاءت ملائكةٌ إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو نائمٌ، وفيه فقالوا: إنّ لصاحبكم هذا مَثَلاً فاضربوا له مَثَلاً، فقال بعضهم: إنّه نائمٌ، وقال بعضهم: إنّ العين نائمةٌ والقلب يقظان، فقالوا: مَثَلُهُ كمَثَل رجل بنى داراً وجعل فيها مَأْدُبَة وبَعث داعياً، فمن أجاب الدّاعي دخل الدّار وأكل من المَأْدُبَة، ومَن لم يجب الدّاعي لم يدخل الدّار ولم يأكل من المَأْدُبَة، فقالوا: أَوِّلُوها له يفقَهْها، وفيه قالوا: فالدّار الجَنَّة، والدّاعي محمّدٌ صلّى الله عليه

(١) الجن الآية (٢-٣).

(٢) الجن الآية (١٣).

(٣) الأحقاف الآية (٣١).

(٤) الأحقاف الآية (٣١).

(٥) الأحقاف الآية (٣٠).

(٦) الأحزاب الآية (٤٥-٤٦).

وسلّم»[١].

وإذا ثبت ذلك وجب حمل قولهم: (أجيبوا داعيَ الله)[٢] عليه؛ لأنّه الذي ثبتت تسميته به في القرآن والسّنّة.

وأيضاً في سورة الجنّ: (وأنّه لمّا قام عبد الله يدعوه)[٣] وإن كان ذلك الدّعاء بمعنى آخر.

وقد قيل: إنّ الذي قرأه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في تلك الصّلاة سورة الجنّ، وقيل سورة الرّحمن[٤].

الثّالث: إنّ إسناد الدّعاء إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم حقيقة، وإلى القرآن مجاز، والحقيقة أَوْلى، فثبت بهذه الأوجه الثّلاثة أنّ داعيَ الله هو النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وإذا ثبت ذلك كفى.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله (٦٧٣٨).

(٢) الأحقاف الآية (٣١).

(٣) الجن الآية (١٩).

(٤) الأحاديث التي وردت عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صلاته بأصحابه في صلاة الفجر لم تبين أي سورة قرأ، ويصعب أن يرجح أحدهما على الآخر، ولكن بإمعان النظر ممكن.

فسورة الجن لم أجد ما يدل على أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قرأها في الصلاة؛ لأنها لما نزلت قل أوحي كان لإبلاغه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه كان يستمع عليه، الجن وهو في تلك الصلاة، ولم تشر أي رواية أن النبي قرأ سورة الجن أو آية منها في الصلاة حتى نستدل عليها بخلاف سورة الرحمن، وأما ما ورد كذلك من أن الجن، كانوا عليه لبدا، كان وصفا للحالة التي كان عليها الجن وهو حرصهم على الاستماع، هذا ما وصلت إليه حول ما ورد في هذا المعنى ووصل إليه فهمي والله أعلم.

وأما سورة الرّحمن فقد قرأها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على أصحابه كما ورد، فإن كان ذلك في غير الصلاة خرجت عن الاستدلال، وإن كانت في صلاة ذلك الفجر صح الاستدلال بها على ذلك، هذا إن صح أن نزول سورة الرحمن كان في مكة؛ أما إن كان نزولها في المدينة فلا يصح؛ لأن نزولها كان بعد القصة.

وقد ذكر الإمام القرطبي في تفسيره (٣/١٩) أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في صلاة ذلك الفجر سورة العلق.

ثمّ نقول الضّمير في: (وآمنوا به)[1] عائدٌ إليه؛ لأنّه أقرب من الكتاب والقرآن وعَوْدُه في سورة الجنّ عليه لتقدّمه دون غيره ، وهذه العِلّة مفقودةٌ هنا.

وقول السّائل: ولا شكّ في وجوب الإيمان بالقرآن على كلّ مكلّف.

أقول: وكذلك لا شكّ في وجوب الإيمان بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم على كلّ مكلّف، فالقرآن والنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كلّ منهما تجب إجابته والإيمان به، ووجوب إجابة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم تقتضي تعلّق شرعه بهم، ووجوب إجابة القرآن تقتضي وجوب امتثال ما فيه فيتعلّق بهم جميع تكاليفه من الأصول والفروع.

فقَصْر السّائل كلامه على الإيمان به ليس بجيّد، وَهُم قد أُمِروا بالإيمان والإجابة فلم تزل الإجابة.

وتَكلّم في الإيمان، وإن قال المراد بالإجابة: الإيمان منعناه، فإنّهما أمران متغايِران.

وقوله: وبتقدير عَوْدِهِ إليه صلّى الله عليه وسلّم فهو دالٌّ على وجوب الإيمان به، صحيحٌ.

وقوله: ومطلق الإيمان به أعَمُّ من الإيمان بكونه رسولاً إليهم إلى آخره.

جوابه: أنّهم أُمِروا بإجابته وبالإيمان به، والأمر بالإجابة لا شكّ أنّه لا يَرِدُ على هذا السؤال، والأمر بالإيمان به مَحْمولٌ على الإيمان به على ذلك الوجه، وهو كونه داعياً إلى الله تجب عليهم إجابته وذلك هو الإيمان بكونه رسولاً إليهم.

وأمّا وجوب الإيمان علينا بموسى وعيسى عليهما السّلام فمعناه: إنّا نؤمن بأنّهما نبيّان رسولان إلى بني إسرائيل كريمان، ومَحَلّهما المَحَلّ الذي أَحَلّهما الله تعالى وذلك واجبٌ على الجنّ ويجب عليهم مِثل ذلك في النّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، وزيادة الإيمان بأنّه داعٍ لهم يجب عليهم إجابته لمّا أَمَرَهم به قومهم كإيماننا به صلّى الله عليه وسلّم.

وحاصله أنّ كلّ رسول داعٍ يجب على المدعوِّ الإيمان بأنّه رسول إليه، ويجب على غير المدعوِّ الإيمان بأنّه رسول في الجملة، والجنّ مَدْعُوُّون كما دلّ عليه كلام بعضهم

---

(١) الأحقاف الآية (٣١).

لبعضٍ فيجب عليهم الإيمان بأنّه رسول إليهم، فقد تبيّن أنّ الواجب عليهم الأخصّ بخلاف ما قال السّائل.

فصل

قال السّائل: وكونه صلّى الله عليه وسلّم رحمةً للعالمين لا يَلزم منه رسالته فإنّ الرّحمة أعمُّ من الرّسالة.

صحيحٌ، وقد حصل من الأدلّة ما يُستَغْنى به عن الاستدلال بذلك.

فصل

والضّمير في قوله: (ليكون للعالمين نذيراً)[1] يجوز عَوْدُه إلى الفرقان، وبتقدير عَوْدِه إليه فالنّذير أعمُّ من الرّسول وأيضاً فهو مخصوص.

أقول: كون الضّمير للفرقان يَرُدُّه كونه أبْعد، وكون النّذير أعمُّ من الرّسول إن أراد بحسب الوضع اللُّغوي فالنّذير والرّسول كلّ منهما أعمُّ من الآخر من وجهٍ؛ لأنّ النّذير: هو المُخْبِر بما يخاف منه سواء أكان الخبر عن نفسه أم عن غيره، والرّسول: هو المُخْبِر عن غيره سواءٌ أكان بِمُخَوِّفٍ أم بغيره، وسمِّيَ الرّسول عن الله نذيراً؛ لأنّه يُخَوِّف النّاس عذاب الله، وسمِّي المُبَلِّغون عنهم نُذُراً؛ لأنّهم قائمون مقامهم في ذلك كما في قوله تعالى: (ولّوْا إلى قومهم منذِرين)[2]، ويُسَمَّوْن أيضاً رسلاً وإن لم يكونوا رسلاً عن الله كما في قوله تعالى: (أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعزّزنا بثالثٍ فقالوا إنّا إليكم مرسلون)[3] وكانوا رسل عيسى عليهم السّلام، وبهذا قيل: إنّ الرّسل إلى الجنّ في الأمم الخالية كانوا نُذُراً من جهة رسل الإنس فَسُمُّوا رسلاً في قوله تعالى: (ألم يأتكم رسل منكم)[4] على أحد التّأويلات فيها.

إذا عرفت ذلك فتسميته صلّى الله عليه وسلّم في هذه نذيراً إنّما كان لإخباره عن الله

---

(١) الفرقان الآية (١).

(٢) الأحقاف الآية (١).

(٣) يس الآية (١٤).

(٤) الأنعام الآية (١٣٠).

تعالى لقوله: (تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً)[١] فإذا سُلِّم أنّه مُخْبِرٌ عن الله تعالى للجنِّ، وأنّ الله أَنزل عليه الفرقان كذلك فهذا هو معنى الرّسول فلا معنى لقول السّائل هنا: إنّ النّذير أعمٌّ من الرّسول.

وقوله: وأيضاً فهو مخصوصٌ، يشير إلى خروج الملائكة منه.

وجوابه: إنّ العامّ المخصوص حجّة عند جمهور العلماء والأصوليّين، ولو بطل الاستدلال بالعمومات المخصوصة لبطل الاستدلال بأكثر الأدلّة، فإنّ أكثر العمومات مخصوصة.

وأيضاً: فلو قيل لمدّعي خروج الملائكة مَن أنْذَرَه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إمّا ليلة الإسراء وإمّا غيرها، ولا يَلزم من الإنذار الرّسالة إليهم في شيءٍ خاصٍّ أن يكون بالشّريعة كلّها.

والقول بالعموم في حقّهم في مطلق الإنذار لا يكاد يقوم دليلٌ على عدمه.

وأيضاً: مِن النّاس مَن يقول: إنّ الملائكة هم مؤمنو الجنّ السّماويّة، فإذا رُكِّب هذا مع القول بعموم الرّسالة للجنّ الذي قام الإجماع عليه لزم عموم الرّسالة لهم، لكن القول بأنّ الملائكة من الجنّ قول شاذٌّ، والصّحيح المشهور الذي عليه الجمهور: أنّ العالَمِين ثلاثةٌ: الإنس، والجنّ، والملائكة أَضْعاف الثّقلين، وإنّما أردنا بهذا عدم تَسَرُّع السّائل إلى القطع بالتّخصيص.

فصل

قال السّائل: وتسميته الجنّ ناساً إن كان حقيقةً فَيَلْزَم الاشتراك وإلا فمجاز، وهما على خلاف الأصل، ثمّ حيث أطلق النّاس فالمراد ولد آدم عليه السّلام؛ لأنّه السّابق إلى الفهم وقوله تعالى: (يا أيّها النّاس اتقوا ربّكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدة)[٢]، (يا أيّها

(١) الفرقان الآية (١).

(٢) النساء الآية (١).

النّاس إن كنتم في ريبٍ من البعث فإنّا خلقناكم من تراب)[1] إلى غير ذلك يدلّ.

أقول: قوله: إن كان حقيقة يلزم الاشتراك وإلا فَمَجازٌ وهما على خلاف الأصل.

يَرُدّ عليه التَّواطؤ وهو الحقّ، إذا قلنا: يطلق على الجنّ ناس، فإن النّاس جسد مأخوذٌ من النّوس وهو الحركة كما قدّمناه، وهو قَدْر مشترك بين الإنس والجنّ، فهو موضوعٌ لمعنى عامٍّ مستوفى في محالّه، وهذا حدّ المُتَواطئ وليس بمشتركٍ ولا مجازٍ يعُمُّ إطلاق المُتَواطئ على كلّ واحدٍ من أفراده.

هل هو حقيقةٌ أو مجازٌ؟

فيه بحثٌ طويلٌ لشيوخنا وشيوخ شيوخنا، والمختار: أنّه مجازٌ لأنّه موضوعٌ للقَدْر المشترك، والخصوص غير القَدْر المشترك، فإذا استُعْمِل في الخصوص فقد استُعْمِل في غير ما وُضِع له فيكون مجازاً.

وبعضهم يقول: إنِ استُعْمِل فيه بحسب ما فيه من القَدْر المشترك فهو حقيقةٌ، وإن استُعْمِل فيه بخصوصه كان مجازاً.

ولا تحقيق في هذا التّفصيل أو هو عين التّحقيق، فإنّ الاستعمال في الخصوص إنّما هو بحسب الخصوص، أمّا إذا أردت العموم فلا تستعمله فلا وجه للخصوص فلا حاجة إلى التّفصيل وإن كان حقاً.

وتفصيل السّائل: التّسمية إلى حقيقةٍ ومجازٍ مستدرك؛ لأنّ التّسمية لا توصف بحقيقةٍ ولا بمجازٍ، وإنّما الموصوف بهما اللّفظ المستعمل في موضوعه وفي غير موضوعه.

وتحرير العبارة أن يقال: اسم النّاس وإن كان موضوعاً للجنّ مع كونه موضوعاً للإنس لزم الاشتراك، وإن كان موضوعاً للإنس فقط وأطلق على الجنّ لزم المجاز.

وإذا حَرَّر العبارة هكذا يُرَدُّ عليه: أنّه إن كان مقصوده إنكار استعمال هذا الاسم في الجنّ بالأصالة لم يُسْمَع منه لنقل أهل اللّغة ذلك، فكونه على خلاف الأصل لا يضرّ بل يترجّح أنّه مجازٌ لأنّه خير من الاشتراك، أو يترجّح بأنّه مُتَواطئ لأنّ المُتَواطئ خير

(١) الحج الآية (٥).

منهما على ما قاله بعضهم.

ويُرَدُّ عليه ما قدّمناه: من أنّه يلزم بالتّواطؤ أن يكون مجازاً في كلّ منهما.

وجوابه: إنّه إنّما يلزم ذلك إذا استعمل فيه بخصوصه، ولا ضرورة تدعو إلى الاستعمال فيه بخصوصه؛ لأنّه يكتفى في الاستعمال بالقَدْر المشترك.

وإن كان مقصود السّائل: أنّه يُستعمل في الجنّ ولكن لا حقيقةً ولا مجازاً فهو ظاهر الفساد؛ لأنّ كلّ لفظٍ مستعملٍ لا يخلو عن الحقيقة والمجاز.

والظّاهر أنّ مراد السّائل إنكار استعمال لفظ النّاس في الجنِّ، وهو مردودٌ بقول أهل اللّغة لكنّه قليلٌ، وكان يمكنه أن يكتفيَ بدعوى القِلّة فيه.

واعلم إنّ ما ذكرناه من القِلّة لا ينافي قولنا: إنّه مُتَواطئ لأمرين:

أحدهما: إنّ المُتَواطئ قد يغلب استعماله في بعض أفراده دون بعض.

والثّاني: ما أشرنا إليه فيما سبق أنّ لفظ النّاس صورته واحدة وهو لفظان في الحقيقة، وهو الذي يقال له أصلان، فالنّاس الموضوع للإنس فقط مادَّته من همزةٍ ونُونٍ وسينٍ والألف التي وسطه زائدةٌ، فوَزْنه: "عال"، وهو غير النّاس المُتَواطئ بين الإنس والجنّ، فإنّ مادّته من نونٍ وواوٍ وسينٍ ولا حذْف فيه بل قُلِبَت واوُه ألفاً، فوَزْنه: "فعل" ولولا ما ذكرناه من التَّغايُر لكان مشتَرَكاً.

وثَمَّ ألفاظٌ في اللّغة هكذا صورتها واحدة وإذا نظر إلى تصريفها واشتقاقها عَلِم تغايُرَها مثل: "زال" ماضي "يزال"، و "زال" ماضي "يزول"، ومثل "علا" التي هي فعل، و"على" التي هي حرف، وكثير من الألفاظ لا نطيل بذكره، فلفظ النّاس من هذا القَبيل، وهذا الذي نختاره فيه وإن كان بعض النُّحاة ينقل فيه خلافاً.

وقول السّائل: إنّه حيث أطلق النّاس فالمراد ولد آدم هو الظّاهر.

لكنّا قدّمنا خلافاً في قوله: (في صدور النّاس)[1] والآيتان اللّتان ذَكَرَهما المراد فيهما ولد آدم لقرينةٍ فيهما، ولا يَلزم أن يكون ذلك في كلّ موضعٍ والقرينة المذكورة مُنْتَفِيَةٌ في

---

(١) النّاس الآية (٥).

قوله: (قل يا أيّها النّاس إنّي رسول الله إليكم جميعاً)[١].

فصل

قال السّائل: وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «وأُرْسِلْت إلى الخلق عامّة»[٢] أي رحمة.

أقول: هذا تفسيرٌ باطلٌ؛ لأنّ فيه خروجٌ عن موضوع اللّفظ بلا دليلٍ، ومخالفٌ لمقصود الحديث من قوله قبله: «وكان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يُبْعَث إلى قومه»[٣] فتفسير الإرسال هنا بالرّحمة تحريفٌ، وهو ممّا يَشْمَئِزّ له الطّبع فَأُحاشِي السّائل منه، ولا يسلك مثل هذه التّأويلات إلا حيث تكون أدلّة قويّة تُلْجِئ إلى ذلك وههنا بالعكس الأدلّة توافق الظّاهر فأيّ ضرورةٍ تدعو إلى هذه التّعسُّفات.

فصل

قال: ويتعيّن ذلك جمعاً بينه وبين قوله تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين)[٤] ولكون الخلق فيه مَن يتأتّى الإرسال إليه.

أقول: أمّا الجمع بينه وبين الآية فلا منافاة بينهما، فإنّ المذكور في الحديث المرسَل إليه، والمذكور في الآية العِلّة التي هي الرّحمة، وقد ثبت أنّ الرّحمة عامّة، فلو عكس السّائل وجعل العموم في المرسَل إليه كذلك كان أقرب إلى الصّواب.

أمّا تفسير الإرسال بالرّحمة التي هي عِلّته فغير مرضيٍّ.

وأمّا كون الخلق فيه مَن يتأتّى الإرسال إليه، فالجنّ يَتأتّى الإرسال إليهم لقوله تعالى: (ألم يأتكم رسل منكم)[٥] ولقيام الإجماع على تكليفهم.

فإن قال: لا يتأتّى الإرسال من الإنس إليهم لكونهم من غير جنسهم.

فنقول: إنّه يتأتّى، فإنّ سليمان عليه السّلام سُخِّرَت له الجنّ وغيره، وإن لم يكن كذلك

---

(١) الأعراف الآية (١٥٨).

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) الأنبياء الآية (١٠٧).

(٥) الأنعام الآية (١٣٠).

لكن إذا أرسله الله إليهم لا بدّ أن نجعل له طريقاً إلى تبليغ الرّسالة، ويكفي في ذلك أن يحصل وصول ذلك الكلام بأيِّ طريقٍ كان، وقد حصل هذا في استماع الجنِّ لقراءته صلّى الله عليه وسلّم وفي ذهابه إليهم وقراءته عليهم.

فصل

قال السّائل: وأمّا تلاوة القرآن عليهم وتحدِّيهم به فلاحتمال أن يُحَقِّقَ عجزهم عن معارضته ويُثْبِت مُدَّعاه، إذ لا يَمْتَنِع اختصاص الرسالة بقومٍ وتحدِّيهم بمعجزةٍ لا يقدرون هم ولا غيرهم على الاتيان بمثلها، وإذا انضاف إلى عجز المرسَل إليهم عجز من سواهم ممّن هو أقوى وأقْدَر منهم كان ذلك أبلغ في الانقياد والاستجابة له.

أقول: أمّا تلاوة القرآن عليهم فقد ثبت ذلك في الأحاديث، وكان ذلك لِيُعَلِّمَهم بسؤالهم كما تبيّن من الأحاديث.

وأمّا تَحَدِّيهم به فذلك المُسْتَدِلّ أطلق هذه الدّعوى، وقد قدّمنا أنّ بعض المصنّفين ذكرها مستدلاً بقوله تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ)[1] الآية وقلنا: إنّه لا دليل في ذلك إلا على التّحدِّي بالقرآن من حيث الجملة، وأنّه لا يقدر أحدٌ من الخلق على معارضته.

وأمّا عموم الدّعوة به أو خصوصها فلا تَعَرُّض في الآية لذلك.

فقول السّائل: وأمّا تلاوة القرآن وتَحَدِّيهم به.

إن أراد: أنّ تلاوته عليهم كان لقصد التّحدِّي فهذا لم يثبت وإنّما كان للتّعليم، والتّحدّي في اللّغة: هو المُباراة، وهو اصطلاح المتكلِّمين على نحو ذلك من دعوى الرّسالة والاتيان بما يدلّ عليها من المعجزات، والجنّ من حيث سمعوا القرآن بنخلة إذ صَرَفَهم الله إليه علموا أنّه مُعْجِزٌ فلم يُبارُوا فيه بعد ذلك.

وأيضاً: فالجنّ ليسوا من أهل اللّسان العربي الذي جاء القرآن على أساليبه، وتَضَمَّن من نظم تلك الأساليب والجَزالَة الغاية القصوى الذي أعجزت الخلائق الذين هم فُصَحاء

(١) الإسراء الآية (٨٨).

ذلك اللّسان، فَعَجْزَهم عن معارضته أعجب من عجز الجنّ، وإنّما ذُكرت الجنّ في قوله: (قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ)[١] تعظيماً لإعجازه؛ لأنّ الهيئة الاجتماعيّة لها من القوّة ما ليس للأفراد، فإذا فرض اجتماع جميع الإنس وجميع الجنّ فظاهَر بعضهم بعضاً وعجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد والطائفة الواحدة منه وكلّ شخصٍ منهما عن المعارضة أعجز، فمقصود الآية إثبات عجزهم بدليل الأَوْلى سواءٌ حصل هذا الاجتماع أم لم يحصل.

والسّائل معذورٌ في رَدِّه على المستَدِلّ بذلك على عموم البعثة للجنّ، ونحن لم نستدل بذلك بل بغيره ممّا لا مُعتَرِض عليه ولا مَرَدَّ له.

فصل

قال السّائل: وأمّا ما أُحِلّ لهم فذلك في الحقيقة تكليف لنا ومُتَعَلِّقٌ بنا وإن كان من أجلهم كما: «نهى عن البَصْق عن اليمين من أجل المَلَك»[٢] وكما: «حَرّم استقبال القِبلة بغائطٍ أو بولٍ»[٣].

أقول: إن ثبت لفظ الإحلال لهم لم يُرَدْ هذا؛ لأنّ الإحلال لهم حُكم شرعيّ مُتَعَلِّقٌ بهم وهو إخبارٌ لهم عن الله تعالى وهو معنى الرّسالة والبعثة، ولا ينبغي للسّائل أن يتوقّف في ذلك إن ثبت لفظ الإحلال لهم، وإن لم يثبت إلا اللّفظ الذي قدّمناه وهو قوله: «لكم كلّ عظمٍ ذُكر اسم الله عليه»[٤] فهو مُحْتَمِلٌ للإحلال ولغيره كما قدّمنا فهو مَحَلٌّ

---

(١) الإسراء الآية (٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب دفن النخامة في المسجد (٣٩٩)، عن همام سمع أبا هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق أمامه فإنما يناجي الله ما دام في مصلاه، ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكا، وليبصق عن يساره أو تحت قدمه فيدفنها.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة باب الاستطابة (٣٨٥-٣٨٦)، عن سلمان قال: قيل له قد علمكم نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة، قال: فقال أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم.

(٤) تقدم.

التّوقُّف، وإذا جُعل للتّوقّف من هذا الدّليل لم يحصل من غيره.

وأمّا النّهي عن البُصاق لأجل المَلَك، وتحريم استقبال القِبلة بغائطٍ أو بولٍ فنظيره تحريم الاستنجاء بالعظم من أجل الجنّ، وذلك بمجرّده لا يُستدلّ به وإنّما يُستدلّ بالتّحليل لهم، فَلْيَفْهم النّاظر الفَرْق بين التّحليل لهم والتّحريم علينا من أجلهم، والأوّل حُكمٌ شرعيٌّ متعلِّق بهم، والثّاني متعلِّق بنا لا بهم، وليس لنا إذا ورد اللّفظ الأوّل أن نحمله على الثّاني؛ لأنّه يجب علينا المحافظة على ألفاظ الشّريعة ما أمكن وفَهْم معانيها وتَوْفِيَتِها ما تستحقّه من الأحكام ولا نُهْمِل شيئاً من ذلك ولا نَتَجاوَزه فنزيد أحكاماً لم ينزل الله بها من سلطان، ولا نَنْقص منه فنترك حكماً أنزله الله، ومن فعل ذلك كان في الأوّل حاكِماً بغير ما أنزل الله، وفي الثّاني تاركاً للحُكم بما أنزل الله وكلاهما مذمومٌ لقوله: (ومن لم يحكم بما أنزل الله)[1] الآيات، وإذا توعّد على عدم الحُكم بما أنزل الله فعلى الحُكم بما لم ينزل الله أَوْلى نسأل الله العصمة من الأمرين.

فصل

قال السّائل: وأمّا إنّه لم يُرسَل إلى الجنّ إلا من الإنس فمجرّد دعوى، وقوله تعالى: (يا معشر الجنّ والإنس ألم يأتكم رسل منكم)[2] ظاهرٌ في كون الرّسل إليهم منهم، واحتمال غير ذلك عدولٌ عن الظّاهر.

أقول: هذه مسألة خلاف: ذهب الضّحّاك إلى ما قاله السّائل ولا أعرف ذلك نَقْل عن أحدٍ معيّن إلا عنه، لكن في كلام ابن جرير ما يقتضي أنّ غيره قال بقوله ولم يعيّنْه، وإنّما نقله ابن جرير صريحاً عنه.

قال ابن جرير: ثنا ابن حُمَيْد ثنا يحيى بن واضح ثنا عبيد بن سليمان قال: سئل الضّحّاك عن الجنّ هل كان فيهم نبيٌّ قبل أن يُبعث النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم؟، فقال: ألم تسمع إلى قول الله تبارك وتعالى: (يا معشر الجنّ والإنس)[3] الآية يعني بذلك رسلاً من

---

(١) المائدة الآية (٤٤-٤٥-٤٧).

(٢) الأنعام الآية (١٣٠).

(٣) الأنعام الآية (١٣٠).

الإنس ورسلاً من الجنّ، قالوا: بلى[1].

ثمّ قال ابن جرير: وأمّا الذين قالوا بقول الضّحّاك فإنّهم قالوا: إنّ الله أخبر أنّ من الجنّ رسلاً أُرْسِلوا إليهم، قال: ولو جاز أن يكون خبره عن رسل الجنّ بمعنى أنّهم رسل الإنس جاز أن يكون خبره عن رسل الإنس بمعنى أنّهم رسل الجنّ، قالوا: وفي فساد هذا المعنى ما يدلّ على أنّ الخبريْن جميعاً بمعنى الخبر عنهم أنّهم رسل الله؛ لأنّ ذلك هو المعروف في الخطاب دون غيره، هذا جملة ما قاله ابن جرير في مذهب الضّحّاك[2].

والأكثرون خالفوا الضّحّاك وقالوا: لم يكن من الجنّ قطّ رسولٌ ولم تكن رسلٌ إلا من الإنس، نُقِل معنى هذا عن ابن عبّاس وابن جرير ومجاهد والكَلْبي وأبي عُبَيْد والواحِدي مع قوله: إنّ الآية تدلّ للضّحّاك لكن هؤلاء يتأوّلونها.

واختلفوا في تأويلها فقال ابن عبّاس ومجاهد وابن جُرَيْج وأبو عُبَيْد ما معناه: إنّ رسل الإنس رسلٌ من الله إليهم، ورسل الجنّ قومٌ من الجنّ ليسوا رسلاً عن الله ولكن بَثّهُم الله في الأرض فسمعوا كلام رسل الله الذين هم من بني آدم، وجاؤوا إلى قومهم من الجنّ فأخبروهم كما اتّفق للذين صَرَفَهم الله إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم واستمعوا القرآن ووَلَّوْا إلى قومهم منذرين، فهم رسلٌ عن الرّسل لا رسل عن الله تعالى، ويُسَمَّوْن نُذُراً، ويجوز تسميتهم رسلاً لتسمية رسل عيسى رسلاً في قوله تعالى: (إنّا إليكم مرسلون)[3]، وجاء قوله: (يا معشر الجنّ والإنس ألم يأتكم رسلٌ منكم)[4] على ذلك فالرّسل على الإطلاق من الإنس وهم رسل الله، والنُّذُر من الجنّ وهم رسل الرّسل، ويجوز تسميتهم

---

(١) انظر الدر المنثور (٣/٣٦٠) وآكام المرجان في أحكام الجان للإمام الشبلي (٣٥-٣٦)، ولقط المرجان في أحكام الجان للإمام السيوطي (٧١-٧٢).

(٢) انظر تفسير الطبري (٨/٣٦)، وتفسير البغوي (٢/١٣١)، وآكام المرجان في أحكام الجان للإمام الشبلي (٣٦)، ولقط المرجان في أحكام الجان للإمام السيوطي (٧٣-٧٤).

(٣) يس الآية (١٤).

(٤) الأنعام الآية (١٣٠).

رسلاً هذا قول هؤلاء[١].

وقال طائفةٌ والكَلَبي تأويل الآية وقوله: (ألم يأتكم رسلٌ منكم)[٢] كقوله تعالى: (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)[٢] وإنّما يخرج من أحدهما، وربّما نُقِل معنى هذا عن ابن جُرَيْج أيضاً وغيره.

وقال الكَلَبِي: كانت الرّسل قبل أن يُبعث محمّدٌ صلّى الله عليه وسلم يُبعثون إلى الإنس ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الجنّ والإنس، يعني أنّهم لم يُرسَل إليهم رسولٌ من الإنس عن الله تعالى غيره، وأمّا قبل ذلك فلم يكن فيهم إلا نُذُر يخبرونهم عن الرّسل وتقوم الحُجَّة عليهم بذلك ويتعلّق بهم التّكليف، وهذا الذي قاله الكَلَبِي من أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مُرسَلٌ إلى الجنّ والإنس لم يخالفه فيه أحدٌ، والضّحّاك إنّما خالفه في الأمم الخالية كما تشير إليه الرّواية التي ذكرناها من طريق أبي جعفر محمّد بن جرير الطّبري، وقول عُبَيْد الله بن سليمان مثل الضّحّاك عن الجنّ هل كان فيهم من نبيٍّ قبل أن يُبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟[٣].

فانظر هذا التّقْيِيد، فمَن نَقَل عن الضّحّاك مطلقاً أنّ رسل الجنّ منهم فهو محمولٌ على هذا التّقْيِيد، ولم ينقل أحدٌ عنه أنّ ذلك في هذه المسألة، وإن توهّم ذلك أحدٌ عليه فقد أخطأ ويجب عليه النّزوع عنه وعدم اعتقاده وأن لا يَنْسب إلى رجلٍ عالمٍ ما يخالف الإجماع فيكون قد جنى عليه جنايةً يطالبه بها بين يدي الله تعالى.

وقول السّائل: واحتمال غير ذلك عدولٌ عن الظّاهر.

عبارةٌ رديئةٌ، فإنّ العدول عن الظّاهر هو سلوك ذلك الاحتمال والقول به لا نفس الاحتمال، وإذا صَحّح العبارة يُجاب: بأنّ العدول عن الظّاهر جائزٌ بل واجبٌ إذا دلّ

---

(١) انظر تفسير الطبري (٨/٣٦) وآكام المرجان في أحكام الجان للإمام الشبلي (٣٧)، ولقط المرجان في أحكام الجان للإمام السيوطي (٧٤-٧٥).

(٢) الرحمن الآية (٢٢).

(٣) انظر الدر المنثور (٣/٣٥٩-٣٦٠)، ودقائق التفسير (٢/٤٩٢)، وتفسير الثعالبي (١/ ٥٦٠)، وتفسير الواحدي (١/٣٧٥)، وتفسير البغوي (٢/١٣١).

عليه دليل، والذين عَدَلوا عن الظّاهر في ذلك أكابر الأمّة ابن عبّاس فمَن دونه، وأين يقع الضّحّاك منهم أو من وافقه.

فصل

قال السائل: ثمّ إنّ الجنّ سابقون على الإنس في الخلق والوجود، فحالُ وجودهم السّابق إمّا أن يكون أُرسل إليهم أو لا، والأوّل يَلزم كون الرّسل من غير الإنس ضرورة تقدّمهم عليهم، والثّاني يَلزم عليه عدم تكليفهم وعدم تعذيبهم وذلك على خلاف قوله تعالى: (وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون)[١]، (وما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولاً)[٢].

أقول: عطف الوجود على الخلق لا معنى له؛ لأنّهما بمعنى واحد إلا أن تقول: إنّ الخلق فعل والوجود انفعال، والثّاني بعد الأوّل في الذّهن وإن كان معه في الخارج، فهذا المعنى وإن كان صحيحاً لا يُعتَمَد في مثل هذا.

وقوله: إنّهم سابقون على الإنس، إن استند في هذا إلى قوله تعالى: (إلا إبليس كان من الجنّ)[٣] فالنّاس قد اختلفوا في تفسير ذلك فقال بعضهم: إنّ الجنّ اسم لكلّ مَن استتر عن العيون من أُولِي العلم، وينقسم إلى مؤمنين يُسَمَّوْن: ملائكة، وإلى كفّار يُسَمَّوْن: شياطين، حكاه الحُلَيْمِي وقد أشرنا إليه فيما سبق.

وقال بعضهم: الملائكة جنسٌ من غير جنس الجنّ، وهذا هو المشهور الذي يشهد له الكتاب والسّنّة.

وعلى هذا قيل: إنّ إبليس أبو الجنّ كآدم أبي البشر.

فعلى الأوّل: مؤمنو الجنّ هم الملائكة وهم مكلّفون، وتكليفهم إمّا بسَماع كلام الله تعالى، وإمّا بخَلْق علمٍ ضروريٍّ بما يُؤمرون به ويُنهون عنه، وإمّا بأن يُرسَل بعضهم إلى بعضٍ، وكفّار الجنّ هم الشّياطين، ولعلّ أوّلهم إبليس وهو مكلّف بسَماع كلام الله تعالى،

---

(١) الذاريات الآية (٥٦).

(٢) الإسراء الآية (١٥).

(٣) الكهف الآية (٥٠).

ومَن بَعْده لا يَلزم فيه ما قاله السّائل: يجوز وصول رسل الإنس إليه.

وعلى القول الثّاني: يكون الجنّ موجودين قبل آدم عليه السّلام، ولم يُنقل لنا كيف كان تكليفهم هل هو بسَماع كلام الله تعالى أو بعلمٍ ضروريٍّ واستدلاليٍ؟، والكلام إنّما هو فيما بعد ذلك ففرض هذه الحالة من التّكليف الذي لا حاجة إلى الكلام فيه وتوقيف التّكليف على الرّسول إنّما هو في هذه الأمم التي فيها الرّسل وإلا فالملائكة الذين هم رسل كجبريل مكلّفون.

ونَقَل إمام الحرمين عن المعتزلة إنكار وجود الجنّ[١] وهو عجبٌ، كيف يَنْكر مَن يُصدّق بالقرآن وجود الجنّ، وإنّما ذكرنا هذا ليَعْلم السّائل أنّ هذه الأمور التي يأخذها مُسَلَّمَة من نفسه لا يُسْلِمُها إليه غيره.

وقوله تعالى: (وما كنّا معذّبين)[٢] الآية سياق الكلام الذي قبله يدلّ على أنّه في الإنس فإنّه قال: (وكلّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه) الآية إلى قوله: (رسولاً)[٣] ولا خلاف أنّ إبليس مكلّف مُعَذَّبٌ لمخالفته أمر الله تعالى قبل أن يأتيه رسول لا إنسيٌّ ولا جنّيٌّ فالآية مخصوصة.

أو أنّ العقل قائمٌ مقام الرّسول عند مَن يُثبت الأحكام بالعقل.

أو أنّ الرّسول قد يكون من الملائكة.

أو أنّ التّكليف يحصل بسَماع كلام الله تعالى أو خلق علْمٍ.

وأمّا قوله تعالى: (وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون)[٤] فالظّاهر أنّ السّائل بنى كلامه على أنّ معناه: إلا لأمْرِهم بالعبادة، وهو قولٌ من أقوال المفسّرين فيها والمشهور خلافه، وفيها بحثٌ كبيرٌ لا يحتمله هذا الموضع.

---

(١) انظر كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للإمام الجُوَيْني (١٣٢).

(٢) الإسراء الآية (١٥).

(٣) الإسراء الآية (١٣-١٤-١٥).

(٤) الذاريات الآية (٥٦).

فصل

قال السّائل: وأمّا دعوى الإجماع فهل له مُسْتَنَدٌ وهل هو قطعيٌّ أو ظَنِّيٌّ وهل المطلوب في هذه المسألة القطع أو الظنّ وهل تثبت دعوى الإجماع في الأصول بخبر الواحد؟.

أقول: أمّا مُسْتَنَد دعوى الإجماع فقد تقدّم من كلام أبي طالب عَقِيل بن عطيّة وإمام الحرمين، بل كلام إمام الحرمين يقتضي أنّه معلوم بالضّرورة وإن كان ما ذكره إلا استطراداً في الرَّدِّ على العِيسَوِيَّة، وهم طائفةٌ من اليهود مَنْسوبون إلى رجلٍ يقال له: أبو عيسى يزعمون أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم رسولٌ إلى العرب خاصّةً.

وما قاله الإمام صحيحٌ؛ لأنّا نعلم قطعاً بالنّقل المتواتر المفيد للضّرورة أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ادّعى الرّسالة مطلقةً ولم يقيّدها بقبيلةٍ ولا طائفةٍ ولا إنسٍ ولا جنٍّ فهي عامّة لكلّ من هو على بسيط الأرض، وسكّان الأرض هم الإنس والجنّ فهم كلّهم في دعوته وعموم رسالته.

وقول السّائل: قطعيٌّ أو ظنيٌّ قد عَلِم جوابه وأنّه قطعيٌّ، وتضمّن كلام إمام الحرمين لذلك وهو القدوة، لكنّي أُنَبِّه هنا على شيءٍ وهو أنّ المعلوم بالضّرورة من الشّرع قسمان:

أحدهما: يعرفه الخاصُّ والعامُّ.

والثّاني: قد يَخفى على بعض العوام، ولا ينافي هذا قولنا: إنّه معلومٌ بالضّرورة؛ لأنّ المراد أنّ مَن مارس الشّريعة وعلم منها ما يحصل به العلم الضروري بذلك، وهذا قد يحصل لبعض النّاس دون بعضٍ بحسب الممارسة وكَثْرَتِها أو قِلّتِها أو عدمها.

فالقسم الأوّل: مَن أنكره من العوام أو الخواصّ فقد كفر؛ لأنّه مكذِّبٌ للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في خبره، ومن هذا القسم إنكار وجوب الصّلاة والزّكاة والصّوم والحجّ ونحوها وتخصيص رسالته ببعض الإنس، فمن قال ذلك فلا شكّ في كفره وإن اعترف بأنّه رسول إليه؛ لأنّ عموم رسالته إلى جميع الإنس ممّا يعلمه الخواصّ والعوام بالضّرورة

من الدّين.

والقسم الثّاني: مَن أنكره من العوام الذين لم يحصل لهم من ممارسته للشّرع ممّا يحصل له به العلم الضّروري، وإن كانت كثرة الممارسة أوجبت للعلماء العلم الضّروري بذلك، ومن هذا القسم عموم رسالته صلّى الله عليه وسلّم إلى الجنّ، فإنّا نعلم بالضّرورة ذلك لكَثْرة ممارستنا لأدلّة الكتاب والسّنّة وأخبار الأمّة.

وأمّا العامّي الذي لم يحصل له ذلك إذا أنكر ذلك، فإن قيّد الشّهادة بالرّسالة إلى الإنس خاصّة خَشِيتُ عليه الكفر كما قدّمته في أوّل هذه الفتوى، وإن أطلق الشّهادة بأن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله ولم ينتبه؛ لأنّ إنكاره لعموم الدّعوى للجنّ يخالف ذلك فلا أرى الحُكم بكفره، ولكن يُؤَدَّب على كلامه في الدّين بالجهل، ويُؤمر بأن يتعلّم الحقّ في ذلك لتزول عنه الشّبهة التي أوجبت الإنكار، وإذا لم يحصل منه إنكارٌ ولا تكلّم في ذلك ولا خطر بباله شيءٌ منه فلا لَوْمَ عليه، ولا يُؤمر بتعلُّم ذلك لأنّه ليس فرض عينٍ، وإن خطر بباله ذلك وجب عليه السؤال واعتقاد الحقّ أو صَرَفَ نفسه عن اعتقاد الباطل ويشهد للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالرّسالة المطلقة.

وقول السّائل: هل المطلوب في هذه المسألة القطع أو الظنّ؟.

جوابه: يُؤخَذ ممّا قدّمناه فإنّ العامّي لا يكلّف بذلك قطعاً ولا ظناً، والعالِم المطلوب منه القطع.

وقوله: هل تثبت دعوى الإجماع في الأصول بخبر الواحد؟.

جوابه: إنّ المسألة قد قلنا: إنّها قطعيّةٌ في نفسها، وإن كان القطع فيها غير لازمٍ للعامّي، فتكون بالنّسبة إليه كمسائل الفروع فيكتفي فيها بالإجماع المنقول بالآحاد.

وأمّا العالم فهذا الإجماع عنده متواترٌ مقطوعٌ به كسائر الأشياء الثّابتة بالتّواتر كما تضمّنه كلام إمام الحرمين.

فصل

قال السائل: ثمّ إنّ القاضي لم يتعرّض في كتابه الشّفا لذِكْر هذه المسألة مع إطنابه

وإسهابه في خصائص النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومعجزاته.

أقول: هذا لا تعلّق فيه وليس كتاب حوى العلم كلّه إلا كتاب الله، وخصائصه صلّى الله عليه وسلّم ومعجزاته لا تدخل تحت الحَصْر ولو أسهب الخلق فيها وأطنبوا لكان ما فاتهم منها أكثر، وينبغي تَجَنُّب لفظ الإسهاب والإطناب في ذلك؛ لأنّهما الإكثار والمبالغة، وكلّ مُتكَلّمٍ في هذا المقام من البشر مُقَصِّرٌ فضلاً عن أن يقال مُسْهِبٌ أو مُطْنِبٌ.

فصل

قال السّائل: ولا يَلزم من تَحاكُمِهم إليه صلّى الله عليه وسلّم إرساله إليهم ما لم يُنصّ على ذلك.

أقول: قد سبق بعض القول في ذلك والحقّ: أنّهم متى تحاكموا إليه وحَكَمَ بينهم فلا بدّ أن يكون ذلك الحُكم حُكم الله عليهم، إمّا برسالة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إليهم وهو المدَّعَى، وإمّا بموافقة رسالة غيره إليهم كما يدّعيه السّائل، ويكون مع ذلك النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم موافقاً لذلك بالنّسبة إليهم، فثبتت الرّسالة بذلك إليهم على كلّ حالٍ.

وروى البَغَوِيُّ في تفسيره: أنّه صلّى الله عليه وسلّم قال: «إنّ الجنّ تَدارَأَت في قَتيلٍ قُتِل بينهم فتحاكموا إليّ فقَضَيْت بينهم بالحقّ»[(١)].

فصل

قال السّائل: وأمّا خبر ابن عبّاس وأنّ ذلك ممّا خَفِيَ عليه، فبعيدٌ مع جزمه بذلك، ومعلومٌ أنّه لا يقوله عن اجتهاد.

أقول: قد تقدّم شرح مراد ابن عبّاس بخلاف ما قاله السّائل والمُستَدِل.

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٦/٣٢)، وتفسير البغوي (٤/١٧٥).

فصل

قال السّائل: ثمّ إذا ثبت كونه صلّى الله عليه وسلّم مبعوثاً إلى الجنّ فهل هم مُمْتازُون عنّا بشريعةٍ وعباداتٍ أو الواجب علينا وعليهم واحدٌ؟، فإن كان الأوّل فما الحكم في إخفاء شريعتهم عن الأمّة، وقد بَيَّن صلّى الله عليه وسلّم أحوال الملائكة الكرام عليهم السّلام وأَذْكارهم وعباداتهم وهم أشرف وأرفع منهم.

أقول: الذي يظهر لنا أنّهم لم يمتازوا بشريعةٍ بل الواجب علينا وعليهم شيءٌ واحدٌ لعموم أدلّة الشّريعة، فتجب عليهم الصّلاة والطّهارة كما هي واجبة علينا لا يختلف حُكمٌ من الأحكام في حقّهم إلا أن لا يوجد فيهم شِبَهٌ أو لا يعلموا أنّه هذا هو الذي نختاره في ذلك تَمَسّكاً بإطلاق النّصوص، وأنّ القرآن هو الإمام للجميع وأحكامه جارية عليهم في كلّ شيءٍ.

ولو فرضنا أنّ بعض الفروع لا تَلْزَمهم وأنّه يُكتفى منهم بالتّوحيد والإقرار بالرّسالة والميعاد واجتناب المحرّمات ماذا يَلزم عليه من الأشكال.

ولو فرض أنّهم يمتازون ببعض الأحكام يختصّون بها عن الإنس فما يَلزم من ذلك وعدم إعلامنا بذلك لعدم حاجتنا إليه، ولا يُقال في ذلك إخفاءٌ حتّى تُطلب الحكمة فيه، وبيان أحوال الملائكة وهم أشرف منهم كيف يَلزم منه بيان أحوال الجنّ، على أنّ أحوال الملائكة لم تتبيّن كلّها وإنّما بَيَّن بعضها ممّا يحصل ببيانه اعتبارٌ وفائدة.

فصل

قال السّائل: ومعنى قوله صلّى الله عليه وسلّم: «وكان النّبيّ يُبعث إلى قومه خاصّةً وبُعِثت إلى النّاس عامّةً»[1] هل التّخصيص باعتبار ما بُعِثوا به من الفروع المختصّة بأمّة دون أخرى لاتّفاقهم في أصول الدّين، أم باعتبار مجموع الأمرين الأصول والفروع حتّى لا يكون الرّسول إلى طائفةٍ خاصّةٍ مُبْدِيهما سواهم ولا يجب على غيرهم الدّخول في دعوته؟.

(١) تقدم.

أقول: الذي ظهر لنا باعتبار ما وصل بحثي إليه وما فهِمْته من كلام العلماء أنّه باعتبار مجموع الأمرين الأصول والفروع؛ لأنّه ظاهر اللّفظ ولا صارِفَ له ولأنّه أبْلَغَ في علوٍّ شأنه صلّى الله عليه وسلّم؛ ولأنّه جعل المقابلة بين بعثه وبعثهم لا بين شريعته وشريعتهم، والاحتمال في الثّاني لا في الأوّل.

ولأنّ النّاس تكلّموا في غَرَق فرعون وقومه مع كون موسى عليه السّلام شريعته لبني إسرائيل.

وأجابوا: بأنّ موسى عليه السّلام أيضاً كان رسولاً إلى فرعون وقومه بالإيمان مع استِعْباد بني إسرائيل، والدّليل على ذلك: (اذهب إلى فرعون)[1] الآيتين، وكذلك: (وإذ نادى ربّك موسى أن ائت القوم الظالمين)[2] الآيتين وغير ذلك من الآيات تدلّ على دعوة موسى وهارون لفرعون وقومه بالأصول، ولا ينافي ذلك قوله: (أنْ أرْسِل معنا بني إسرائيل)[3] لأنّه كان مكلّفاً بالأصول وبهذا الفرع.

كلّ ذلك بمقتضى شريعة موسى وإن كان قد كان مكلّفاً قبل ذلك أيضاً بشريعة غيره لقوله تعالى: [قَالَ ءامَنتُ أَنَّهُ لا إِلَـٰهَ إِلاَّ ٱلَّذِى ءامَنَتْ بِهِ بَنوٓاْ إِسْرٰءِيلَ وَأَنَاْ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءالئَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾][4] [5] إنّه يدلّ على كفره فيما مضى وتقدّم تكليفه.

ولهذا يوجد في كلام العلماء أنّ موسى رسولٌ إلى بني إسرائيل وإلى القِبْط وكذا هو، وتتعلّق شريعته أيضاً بكلّ من أراد الدّخول في شريعته من غير بني إسرائيل قبل بعثة نبيّنا محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم، ونزول التّوراة وما فيها من الأحكام لم يكن إلا بعد غَرَقِ فرعون وقومه، فهي متعلّقة ببني إسرائيل ومن دَانَ بِدِينِهم خاصّةً دون فرعون وقومه، فلم

---

(١) النازعات الآية (١٧).

(٢) الشعراء الآية (١٠).

(٣) الشعراء الآية (١٧).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط.

(٥) يونس الآية (٩٠-٩١).

تتعلّق بهم وهم في ذلك كمن مات من الكفّار في أوّل بعثة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ تجدَّدت بعد موته أحكامٌ أخرى نزلت على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

ولأنّ النّاس قالوا في الطُّوفان: إنّه لم يكن في الأرض إلا قوم نوح عليه السّلام فلذلك عُوقِبوا، وربّما مرّ بي من كلام بعض النّاس في الاعتذار عن غَرَق أهل الأرض بالطُّوفان(١) وغَرَق فرعون وقومه بأنّهم كانوا مكلّفين بالإيمان بدعوة مَن تقدّم مِن الرّسل لاشتراك جميع الرّسل في الدّعوة إلى الإيمان.

وإنّما التّخصيص بالفروع وهذا لا حاجة إليه مع العلم بأنّ في الطُّوفان لم يكن في الأرض إلا قوم نوح، وبأنّ فرعون وقومه دخلوا في دعوة موسى بالإيمان.

وهذا كلّه على مذهبنا في أنّ الأحكام كلّها أصولها وفروعها لا تثبت إلا بالشّرع.

---

(١) قال ابن حجر في فتح الباري (١/٤٣٦-٤٣٧): لا يعترض بأن نوحا عليه السلام كان مبعوثا إلى أهل الأرض بعد الطوفان؛ لأنه لم يبق إلا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا إليهم؛ لأن هذا العموم لم يكن في أصل بعثته، وإنما اتفق بالحادث الذي وقع وهو انحصار الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس، وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فعموم رسالته من أصل البعثة، فثبت اختصاصه بذلك، وأما قول أهل الموقف لنوح كما صح في حديث الشفاعة: أنت أول رسول إلى أهل الأرض، فليس المراد به عموم بعثته بل إثبات أولية إرساله، وعلى تقدير أن يكون مرادا: فهو مخصوص بتنصيصه سبحانه وتعالى في عدة آيات، على أن إرسال نوح كان إلى قومه، ولم يذكر أنه أرسل إلى غيرهم، واستدل بعضهم لعموم بعثته بكونه دعا على جميع من في الأرض، فأهلكوا بالغرق إلا أهل السفينة، ولو لم يكن مبعوثا إليهم لما أهلكوا لقوله تعالى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا). وقد ثبت أنه أول الرسل، وأجيب بجواز أن يكون غيره أرسل إليهم في أثناء مدة نوح، وعلم نوح بأنهم لم يؤمنوا فدعا على من لم يؤمن من قومه ومن غيرهم، فأجيب وهذا جواب حسن، لكن لم ينقل أنه نبي في زمن نوح غيره، ويحتمل أن يكون معنى الخصوصية لنبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك بقاء شريعته إلى يوم القيامة، ونوح وغيره بصدد أن يبعث نبي في زمانه أو بعده فينسخ بعض شريعته، ويحتمل أن يكون دعاؤه قومه إلى التوحيد بلغ بقية الناس فتمادوا على الشرك فاستحقوا العقاب، وإلى هذا نحا ابن عطية في تفسير سورة هود، قال: وغير ممكن أن تكون نبوته لم تبلغ القريب والبعيد لطول مدته، ووجهه ابن دقيق العيد: بأن توحيد الله تعالى يجوز أن يكون عاما في حق بعض الأنبياء، وإن كان التزام فروع شريعته ليس عاما؛ لأن منهم من قاتل غير قومه على الشرك، ولو لم يكن التوحيد لازما لهم لم يقاتلهم، ويحتمل أنه لم يكن في الأرض عند إرسال نوح إلا قوم نوح فبعثته خاصة لكونها إلى قومه فقط، وهي عامة في الصورة لعدم وجود غيرهم، لكن لو اتفق وجود غيرهم لم يكن مبعوثا إليهم.

وأمّا المعتزلة القائلون بأنّها تثبت بالعقل فَيَكْتَفُون في إغراق فرعون ونحوه بقيام الدّليل العقلي عليه وبالإيمان ومخالفته.

وعلى كلّ تقدير فرضٍ سواءٌ قلنا بقول المعتزلة، أو بما مرّ بي من كلام بعض النّاس، أو بما قلناه، ولا يَلزم أنّ دعوة كلّ نبيٍّ بالإيمان وأصول الدّين كانت عامّةً لدعوة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ولا يَلزم من اشتراك جميع الأنبياء في الدّعوة إلى الإيمان أنّ دعوة كلٍّ منهم عامّة فيه إلى جميع النّاس، بل معناه: إنّ كلّ نبيٍّ دعا قومه إليه كما قال تعالى: (شرع لكم من الدين)[1] الآية فكلّ واحدٍ داعٍ إلى ذلك مَن أُرسِل إليه، وقال تعالى: (إنّا أرسلنا نوحاً إلى قومه)[2]، وقال تعالى: (وإلى عاد)[3]، (وإلى ثمود أخاهم صالحاً)[4]، وقال في التّوراة: (هدًى لبني إسرائيل)[5]، وقال عيسى عليه السّلام: (ورسولاً إلى بني إسرائيل)[6]، وقال للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (إنّا أرسلناك)[7] ولم يخصّص، وقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «وكان النّبيّ يُبْعث إلى قومه خاصة، وبُعِثت إلى النّاس عامّةً»[8] وظاهره ما قلناه، فالعدول عنه لا يجوز.

فصل

قال السّائل: ويؤيّده قوله تعالى: (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر)[9] الآيات فلم ينكر موسى عليه الصّلاة والسّلام عليهم ولا دعاهم إلى دينه.

أقول: أمّا كون موسى عليه السّلام لم يَنكر عليهم فلا يقْدُر على إثباته، ولعلّه قد

---

(١) الشورى الآية (١٣).
(٢) نوح الآية (١).
(٣) الأعراف الآية (٦٥)، وهود الآية (٥٠).
(٤) الأعراف الآية (٧٣).
(٥) الإسراء الآية (٢)، والسجدة الآية (٢٣).
(٦) آل عمران الآية (٤٩).
(٧) البقرة الآية (١١٩).
(٨) تقدم.
(٩) الأعراف الآية (١٣٨)، ويونس الآية (٩٠).

أنْكَر.

وأمّا كونه ما دعاهم إلى التّوحيد، فكذلك.

والظّاهر أنّ أولئك القوم بلغتهم دعوة نبيٍّ قبله، فموسى عليه السّلام وإن لم يكن مبعوثاً إلى أولئك القوم لكنّه إذا رآهم على جهلٍ وخطأٍ لا يترك إرشادهم.

وعلى كلّ حالٍ تأييد ذلك المدَّعِي بهذه القصّة ضعيفٌ، وذلك المدَّعَى مُتَأَيِّدٌ ثابتٌ بغيرها كما سبق.

هذا ما انتهى نظري إليه في الجواب عن هذا السّؤال، وقد استوفيت كلام السّائل فلم أحْذِف منه شيئاً، وهذا الجواب يَصْلُح أن يكون تصنيفاً مستقِلاً، ويسمّى: **الدّلالة على عموم الرّسالة**.

فَرَغْت منه عند أذان الصّبح يوم الأربعاء سابع عشر شعبان سنة ٧٣٨ انتهى.

الرسالة الثالثة

التعظيم والمنة
في "لتؤمنن به ولتنصرنه"

للإمام العلامة تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي
المتوفى سنة ٧٥٦ هـ

خرج آياتها وأحاديثها
الشيخ علي أسعد رباجي



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

التّعظيم والمِنَّة في لَتؤمِنُنَّ به ولَتنصرُنَّه

قال رضي الله عنه: الحمد لله الذي عظَّم نبيَّه ومَنَّ علينا به وهدانا إلى كلّ خير، إذ وصل سببنا بسببه، وبعد:

فقد حصل البحث في تفسير قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ) [1].

وقول المفسِّرين[2] هنا: إنّ الرّسول هو نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وإنّه ما من نبيٍّ إلا أخذ الله عليه الميثاق أنّه إن بعث محمّد في زمانه لَتؤمِنُنَّ به ولَتنصرُنَّه ويوصي أمّته بذلك[3].

وفي ذلك من التّنْويه بالنّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم وتعظيم قدره العلِي ما لا يخفى.

وفيه مع ذلك أنّه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسَلاً إليهم، فتكون نبوّته ورسالته عامّة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة، ويكون الأنبياء وأُمَمهم كلّهم من أمّته، ويكون قوله: «بُعِثت إلى النّاس كافّة»[4] لا يختصّ به النّاس من زمانه إلى يوم القيامة بل يتناول مَن قبلهم أيضاً.

---

(١) آل عمران الآية (٨١).

(٢) انظر تفسير الطبري (٣/٣٢٩-٣٣٠-٣٣١-٣٣٢-٣٣٣-٣٣٤)، وتفسير ابن كثير (١/٣٥٩-٣٧٨-٣٧٩)، ودقائق التفسير لابن تيمية (١/٣٣٣-٣٣٤-٣٣٥)، وتفسير الثعالبي (١/٢٨٣-٢٨٤-٢٨٥)، وتفسير أبي السعود (٢/٥٣-٥٤)، وتفسير الواحدي (١/٢٢٠-٢٢١)، وتفسير البغوي (١/٣٢١-٣٢٢)، وفتح القدير للشوكاني (١/٣٥٦-٣٥٧)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٤١٤-٤١٥-٤١٦)، وروح المعاني للآلوسي (٣/٢٠٩)، و (٦/٨) وغيرهم.

(٣) أخرج ابن كثير في تفسيره (١/٣٧٨-٣٧٩): عن علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه.

(٤) تقدم.

ويتبيّن بذلك معنى قوله صلّى الله عليه وسلّم: «كنت نبياً وآدم بين الرّوح والجسد»(١) وإنّ مَن فسّره بعِلْم الله بأنّه سيصير نبياً لم يصل إلى هذا المعنى؛ لأنّ عِلْم الله محيط بجميع الأشياء، ووَصْف النّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم بالنُّبوّة في ذلك الوقت ينبغي أن يُفهم منه أنّه أَمْرٌ ثابتٌ له في ذلك الوقت، ولهذا: «رأى اسمه آدم مكتوباً على العرش محمّدٌ رسول الله»(٢) فلا بدّ أن يكون ذلك معنى ثابتاً في ذلك الوقت، ولو كان المراد بذلك مجرّد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له خصوصيّة بأنّه نبيّ وآدم بين الرّوح والجسد؛ لأنّ جميع الأنبياء يعلم الله نبوّتهم في ذلك الوقت وقبله، فلا بدّ من خصوصيّة للنّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم لأجلها أَخبر بهذا الخبر إعلاماً لأمّته ليعرفوا قدره عند الله فيحصل لهم الخير بذلك(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب باب في فضل النبي (٣٥٤٢) وقال: حديث حسن صحيح غريب، وأحمد في كتاب أول مسند المدنيين أجمعين باب حديث رجل (١٦٠٢٨)، وفي كتاب أول مسند البصريين باب حديث ميسرة الفجر (١٩٦٨٦)، وفي كتاب باقي مسند الأنصار باب حديث بعض أصحاب النبي (٢٢١٢٨).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٢٢٨) وقال: حديث صحيح الإسناد، وقال الذهبي في التلخيص: بل موضوع وعبد الرحمن واه، والبيهقي في دلائل النبوة (٤٨٩/٥) وقال: ضعيف، والطبراني في الصغير (٩٩٢) وقال: لا يروى عن عمر إلا بهذا الإسناد تفرد به أحمد بن سعيد، والشامي في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٨٥/١)، و(٤٠٣/١٢) وقال: تقدمت شواهده هناك وكأنه يشير إلى تصحيحه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما أذنب آدم صلى الله عليه وسلم الذنب الذي أذنبه رفع رأسه إلى العرش فقال: أسألك حق محمد، ألا غفرت لي، فأوحى الله إليه وما محمد ومن محمد؟ فقال تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك، فإذا هو مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم عندك قدرا ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله عز وجل إليه يا آدم إنه آخر النبيين من ذريتك، وإن أمته آخر الأمم من ذريتك، ولولاه يا آدم ما خلقتك. واللفظ للطبراني.

(٣) أقول إن النصوص والإشارات القرآنية تؤكد ما تقدم وتزيد على ذلك المعنى؛ فقوله تعالى: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين). الأعراف الآية (١٧٢).
وقوله أيضا: (وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ). آل عمران الآية (٨١).
فهاتان الآيتان يفسرا بعضهما بعضا؛ فإن الله سبحانه وتعالى لما استخرج ذرية آدم من ظهره وهم كالذر وأشهدهم على وحدانيته وأقروا بذلك، أخذ عندها العهد على الأنبياء وجميع الخلق
=

فإن قلت: أريد أن أفهم ذلك القدر الزّائد، فإنّ النّبوّة وصف لا بدّ أن يكون الموصوف به موجوداً، وإنّما يكون بعد بلوغ أربعين سنة أيضاً، فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل إرساله، فإن صحّ ذلك فغيره كذلك.

قلت: قد جاء أنّ الله خلق الأرواح قبل الأجساد، فقد تكون الإشارة بقوله: «كنت نبياً»[١] إلى روحه الشّريفة صلّى الله عليه وسلّم وإلى حقيقته، والحقائق تَقْصُر عقولنا عن معرفتها وإنّما يعلمها خالقها ومَن أمدّه بنورٍ إلــهيٍّ.

ثمّ إنّ تلك الحقائق يُؤتي الله كلّ حقيقةٍ منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء، فحقيقة النّبيّ

أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليهم وسلم فأقروا على ذلك، فكان ساعتئذ نبيا للأنبياء ولجميع الخلق، وأنه بعث للناس كافة، وأن الخلق تحت لوائه عند أخذ العهد عليهم ويوم القيامة.

فمن هذه الإشارات تفهم أبعاد الأحاديث: كنت نبيا وأدم بين الروح والجسد، وبعثت إلى الناس كافة، وآدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة.

أخرج الترمذي عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسأل عنها أي الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فأخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون. أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة الأعراف (٣٠٠١) وقال: حديث حسن، وأبو داود في كتاب السنة باب في القدر (٤٠٨١)، وأحمد في كتاب مسند العشرة المبشرين بالجنة باب أول مسند عمر بن الخطاب (٢٩٤).

وعن ابن عباس: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنَعْمان يعني: عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلا قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون. أخرجه أحمد في كتاب ومن مسند بني هاشم باب بداية مسند عبد الله بن العباس (٢٣٢٧)، والحاكم في المستدرك (٤٠٠٠) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والذهبي في التلخيص وقال: صحيح.

فبهذا علم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سيد الخلق وإمامهم؛ فإنهم صلوات الله عليهم وسلاماته لما أمروا بالإيمان به ونصرته كان دالا على قيادته لهم، فلما التقى بهم في إسرائه في الأقصى انضووا تحت إمامته؛ لما أمِروا به من اتباعه ومعرفة قدره وحقه عليهم.

فهذه الأحاديث والآيات عاضدة لما قلنا، وكافية في إفهام المعنى؛ إذ اللبيب من الإشارة يفهم، فكيف بالنص الظاهر.

(١) تقدم.

صلّى الله عليه وسلّم قد تكون من قبل خلق آدم آتاها الله ذلك الوصف بأن يكون خلقها متهيِّئة لذلك وأفاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبياً وكتب اسمه على العرش وأَخبر عنه بالرّسالة ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده، فحقيقته موجودة من ذلك الوقت، فإن تأخّر جسده الشّريف المتَّصِف بها واتّصاف حقيقته بالأوصاف الشّريفة المُفاضَة عليه من الحضرة الإلهيّة حاصل من ذلك الوقت، وإنّما يتأخّر البعث والتّبليغ لتكامل جسده صلّى الله عليه وسلّم الذي يحصل به التّبليغ.

وكلّ ما له من جهة الله تعالى ومن جهة تأهُّل ذاته الشّريفة وحقيقته معجل لا تأخّر فيه، وكذلك استنباؤه وإيتاؤه الكتاب والحُكم والنّبوّة، وإنّما المتأخّر تكوُّنه وتنقّله إلى أن ظهر صلّى الله عليه وسلّم وغيره من أهل الكرامة.

ولا نُمَثِّل بالأنبياء بل بغيرهم، قد يكون إفاضة الله تلك الكرامة عليه بعد وجوده بمدّة كما يشاء سبحانه وتعالى.

ولا شكّ أنّ كلّ ما يقع فالله تعالى عالمٌ به من الأزل، ونحن نعلم علمه بذلك بالأدلّة العقليّة والشّرعية، ويعلم النّاس منها ما يصل إليهم عند ظهوره لعلمهم نبوّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم حين نزل عليه القرآن في أوّل ما جاءه به جبريل صلوات الله وسلامه عليه، وهو فعل من أفعاله سبحانه وتعالى من جملة معلوماته ومن آثار قدرته وإرادته واختياره في محلٍّ خاصٍّ يتصّف بها.

فهاتان مرتبتان: الأُولى معلومة بالبرهان، والثّانية ظاهرة للعَيان، وبين المرتبتين وسائط من أفعاله سبحانه وتعالى تحْدُث على حسب اختياره سبحانه وتعالى.

منها: ما يظهر لبعض خلقه حين حدوثه.

ومنها: ما يظهر لهم بعد ذلك.

ومنها: ما يحصل به كمال لذلك المحلّ، وإن لم يظهر لأحد من المخلوقين.

وذلك ينقسم إلى كمال يقارن ذلك المحلّ من حين خلقه.

وإلى كمال يحصل له بعد ذلك، ولا يصل علم ذلك إلينا إلا بالخبر الصّادق.

والنّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم خير الخلق فلا كمال لمخلوقٍ أعظم من كماله، ولا محلّ أشرف من محلّه، يُعرِّفنا بالخبر الصّحيح حصول ذلك الكمال من قبل خلق آدم لنبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم من ربّه سبحانه وتعالى.

وأنّه أعطاه النّبوّة من ذلك الوقت ثمّ أخذ له المواثيق على الأنبياء وعلى أُمَمهم ليعْلَموا أنّه المُقَدّم عليهم وأنّه نبيّهم ورسولهم، وفي أَخْذ المواثيق وهي معنى في الاستخلاف، ولذلك دخلت لام القَسَم في لتؤمِنُنَّ به ولتنصُرُنَّه.

لطيفة أخرى

وهي كأنّها أيْمان البَيْعة التي تؤخذ للخلفاء، ولعلّ أيْمان الخلفاء أُخِذَت من هنا، فانظر هذا التّعظيم العظيم للنّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم من ربّه سبحانه وتعالى.

فإذا عُرِف ذلك فالنّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم هو نبيُّ الأنبياء، ولهذا ظهر ذلك في الآخرة جميع الأنبياء تحت لوائه(١)، وهو في الدّنيا كذلك ليلة الإسراء صلّى بهم(٢)، ولو اتّفق مجيئه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى أُمَمهم الإيمان

(١) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة بني إسرائيل (٣٠٧٣)، وفي كتاب المناقب باب في فضل النبي (٣٥٤٨) وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد في كتاب ومن مسند بني هاشم باب بداية مسند عبد الله بن العباس (٢٤١٥-٢٥٦٠): عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر.

(٢) أخرج مسلم في كتاب الإيمان باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال (٢٥١): عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ما كربت مثله قط قال: فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي، أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي، أشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه، فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة، قال قائل: يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلِّمْ عليه، فالتفت إليه فبدأني بالسلام.

به ونُصْرته وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم، فنبوّته عليهم ورسالته إليهم معنى حاصل له، وإنّما أثره يتوقّف على اجتماعهم معه فتأخّر ذلك لأمرٍ راجعٍ إلى وجودهم لا إلى عدم اتّصافه بما تقتضيه.

وفَرْقٌ بين توقّف الفعل على قَبول المحلّ وتوقّفه على أهليّة الفاعل، فهنا لا توقّف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الشّريفة، وإنّما هي من جهة وجود العصر المشتمل عليهم، فلو وُجد في عصرهم لزمهم اتّباعه بلا شكٍّ، ولهذا يأتي عيسى في آخر الزّمان على شريعته وهو نبيٌّ كريمٌ على حالته، لا كما ظنَّ بعض النّاس أنّه يأتي واحداً من هذه الأمّة، نعم هو واحد من هذه الأمّة لما قلناه أنّ اتّباعه للنّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، وإنّما يحكم بشريعة نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم بالقرآن والسُّنَّة وكلّ ما فيها من أمْرٍ أو نهيٍ فهو متعلِّق به كما يتعلَّق بسائر الأمّة، وهو نبيّ كريم على حاله لم يَنْقُص منه شيء.

وكذلك لو بُعث النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في زمانه أو في زمن موسى وإبراهيم ونوح وآدم كانوا مستمرّين على نبوّتهم ورسالتهم إلى أُمَمهم، والنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم نبيٌّ عليهم ورسولٌ إلى جمعيهم، فنبوّته ورسالته أعمُّ وأشْملُ وأعظم وتتّفق مع شرائعهم في الأصول لأنّها لا تختلف.

وتقدُّم شريعة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع، إمّا على سبيل التّخصيص، وإمّا على سبيل النّسخ، أو لا نسخ ولا تخصيص، بل تكون شريعة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في تلك الأوقات بالنّسبة إلى أولئك الأُمم ما جاءت به أنبياؤهم.

وفي هذا الوقت بالنّسبة إلى هذه الأُمّة هذه الشّريعة، والأحكام تختلف باختلاف الأشخاص والأوقات.

وبهذا بَانَ لنا معنى حديثين خَفَيَا عنّا:

أحدهما: قوله صلّى الله عليه وسلّم: «بُعِثْت إلى النّاس كافّة»[١] كنّا نظنّ أنّه من زمانه إلى يوم القيامة، فبَان أنّه جميع النّاس أوّلهم وآخرهم.

والثّاني: قوله صلّى الله عليه وسلّم: «كنت نبياً وآدم بين الرّوح والجسد»[٢] كنّا نظنّ أنّه بالعلم، فبَان أنّه زائدٌ على ذلك على ما شرحناه.

وإنّما يفرق الحال بين ما بعد وجود جسده صلّى الله عليه وسلّم وبلوغه الأربعين، وما قبل ذلك بالنسبة إلى المبعوث إليهم وتأهُّلِهم لسَماع كلامه لا بالنِّسبة إليه ولا إليهم لو تأهّلوا قبل ذلك، وتعليق الأحكام على الشّروط قد يكون بحسب المحلّ القابل، وقد يكون بحسب الفاعل المتصرِّف، فههنا التّعليق إنّما هو بحسب المحلّ القابل وهو المبعوث إليهم وقَبولهم سَماع الخِطاب والجسد الشّريف الذي يخاطبهم بلسانه.

وهذا كما يُوَكِّل الأب رجلاً في تزويج ابنته إذا وجدت كُفْؤاً، فالتّوكيل صحيحٌ وذلك الرّجل أهلٌ للوَكالة ووكالته ثابتةٌ، وقد يحصل توقّف التّصرّف على وجود كُفْؤ ولا يوجد إلا بعد مدّة وذلك لا يقدح في صحّة الوَكالة وأهليّة التّوكيل.

والله أعلم انتهى.

---

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

الرسالة الرابعة

تزيين الأرائك

في إرسال النبي ﷺ إلى الملائك

للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
المتوفى سنة ٩١١هـ

خرج آياتها وأحاديثها
الشيخ علي أسعد رباجي



ترجمة الإمام السّيوطي

نسبه:

عبد الرّحمن بن الكمال أبي بكر بن محمّد بن سابِق الدّين بن الفَخْر عثمان بن ناظر الدّين محمّد بن سيف الدّين خَضِر بن نجم الدّين أبي الصّلاح أيُّوب بن ناصر الدّين محمّد ابن الشّيخ همام الدّين الخُضَيْري الأَسْيُوطي.

أمّا جدِّي الأعلى همام الدّين فكان من أهل الحقيقة ومن مشايخ الطّريق، ومَن دُونَه كانوا من أهل الوَجاهة والرِّياسَة، منهم مَن وَلي الحُكم ببلده، ومنهم مَن وَلي الحِسْبَة بها، ومنهم مَن كان تاجراً في صُحبة الأمير شَيْخُون، وبنى مدرسة بأسْيُوط وقف عليها أوقافاً، ومنهم مَن كان مُتَمَوِّلاً، ولا أعرف منهم مَنْ خدم العلم حقَّ الخدمة إلا والدي.

وأمّا نسبتنا إلى الخُضَيْرِي فلا أعلم ما تكون هذه النّسبة إلا الخُضَيْرِيّة مَحِلَّةً ببغداد.

وقد حدّثني مَنْ أَثِق به أنّه سمع والدي رحمه الله تعالى يذكر أنّ جدَّه الأعلى كان أعجميًّا أو من الشّرق، فالظّاهر أنّ النّسبة إلى المَحِلّة المذكورة.

مولده:

كان مَوْلدي بعد المغرب ليلة الأحد، مُستَهَلَّ رجب سنة تسع وأربعين وثمان مائة، وحُمِلت في حياة أبي إلى الشّيخ محمّد المَجْذُوب، رجلٌ من كبار الأولياء بجوار المَشْهَد النَّفِيسي فبارك عليّ.

نشأته:

نشأت يتيماً فحفظتُ القرآن ولي دون ثماني سنين، ثمّ حفظتُ العُمْدة ومِنْهاج الفقه والأصول وأَلْفِيّة ابن مالك، وشرعت في الاشتغال بالعلم من مُسْتَهَلّ سنة أربع وستّين، فأخذت الفقه والنّحو عن جماعة من الشّيوخ، وأخذت الفرائض عن العلاّمة فَرَضِيِّ زمانه الشّيخ شهاب الدّين الشّارِمْساحِي، الذي كان يقال إنّه بلغ السِّنَّ العالية، وجاوز المائة بكثير، وقرأت عليه شرحه على المجموع، وأُجِزتُ بتدريس العربيّة في مُسْتَهَلّ سنة ست وستّين وثمان مائة.

وقد ألّفْت في هذه السّنة، فكان أوّل شيءٍ ألّفته شرح الاستعاذة والبسملة، وأوْقَفْت عليه شيخنا عَلم الدّين البلْقيني فكتب عليه تقريظاً، ولازمته في الفقه إلى أن مات.

فلَزِمْت ولده وقرأت عليه من أوّل التّدريب لوالده إلى الوَكالة، وسمعت عليه من أوّل الحاوي الصّغير إلى العدد، ومن أوّل المنهاج إلى الزّكاة، ومن أوّل التّنبيه إلى قريب من الزّكاة، وقطعة من الرّوضة من باب القضاء، وقطعة من تكمِلَة شرح المنهاج للزَّرْكَشي، ومن إحياء المَوات إلى الوصايا أو نحوها، وأجازني بالتّدريس والإفتاء من سنة ستٍّ وسبعين وثمان مائة، وحضر تصْدِيري.

فلما تُوفّي سنة ثمانٍ وسبعين وثمان مائة لزمت شيخ الإسلام شرف الدّين المَنَاوي، فقرأت عليه قطعة من المنهاج، وسمعته عليه في التّقسيم إلا مجالس فاتتني، وسمعت دروساً من شرح البَهْجة ومن حاشية عليها، ومن تفسير البَيْضاوي.

ولزمت في الحديث والعربيّة شيخنا الإمام العلاّمة تقيّ الدّين الشِّبْلي الحنفي، فواظبته أربع سنين، وكتب لي تقريظاً على شرح ألفيّة ابن مالك، وعلى جَمْع الجومع في العربيّة تأليفي، وشهد لي غير مرّة بالتّقدّم في العلوم بلسانه وبَنَانه، ولم أنفكّ عن الشّيخ إلى أن مات.

ولزمت شيخنا العلامة أستاذ الوجود محيي الدين الكافيجي أربع عشرة سنة، فأخذت عنه الفُنون من التفسير والأصول والعربيّة والمعاني وغير ذلك، وكتب لي إجازةً عظيمة.

وحضرت عند الشّيخ سيف الدّين الحنفي دروساً عديدة في الكشّاف والتّوضيح وحاشيته عليه وتلخيص المُفْتاح والعَضُد.

علمه:

رزقت التّبَحُّر في سبعة علوم: التّفسير، والحديث، والفقه، والنّحو، والمعاني، والبيان، والبديع، على طريقة العرب والبُلغاء، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة.

والذي أعتقده أنّ الذي وصلت إليه من هذه العلوم السّبعة سوى الفقه والنّقول التي اطّلعت عليها فيها لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي فضلاً عمّن دونهم، وأمّا

الفقه فلا أقول ذلك، بل شيخي فيه أوْسَع نظراً وأطْوَل باعاً.

ودون هذه السّبعة في المعرفة: أصول الفقه، والجَدَل، والتّصريف، ودونها الإنشاء، والتَّرسُّل، والفرائض، ودونها القراءات ولم آخذها عن شيخ ودونها الطِّبّ.

وأمّا علم الحساب: فهو أَعْسرُ شيءٍ عليّ وأبعده عن ذهني، وإذا نظرت في مسألة تتعلّق به فكأنّما أحاول جبلاً أحمله.

اجتهاده:

كَمُلَت عندي آلات الاجتهاد بحمد الله، أقول ذلك تحدّثاً بنعمة الله تعالى لا فخْراً أو أيّ شيءٍ في الدّنيا حتّى يُطْلَب تحصيلها بالفَخْر، وقد أَزِفَ الرّحيل، وبَدَا الشَّيْب، وذهب أطيب العُمُر، ولو شئت أن أكتب في كلّ مسألةٍ مصنَّفاً لها بأقوالها وأدلّتها النّقليّة والقياسيّة ومداركها ونُقُوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لَقَدِرْت على ذلك، من فضل الله لا بحولي ولا بقوّتي، فلا حول ولا قوّة إلا بالله، ما شاء الله لا قوّة إلا بالله.

وقد كنت في مبادئ الطَّلَب قرأت شيئاً في علم المنطق، ثمّ ألقى الله كراهيته في قلبي، وسمعت أنّ ابن الصّلاح أفتى بتحريمه فتركته لذلك، فعوّضني الله تعالى عنه علم الحديث الذي هو أشرف العلوم.

أمّا مشايخي في الرّواية سَماعاً وإجازة فكثيرون، أوْرَدْتهم في المعجم الذي جمعْتُهم فيه، وعِدَّتهم نحو مائة وخمسين، ولم أُكْثِر من سَماع الرّواية لاشتغالي بما هو أهمّ قراءة الدّراية.

تصانيفه:

شرع الإمام في التّصنيف في سنة ستٍّ وستّين وثمان مائة.

وأمّا كتبه فقد عَدّ منها في حُسْن المحاضَرَة ثلاث مائة كتابٍ سوى ما غسله وتاب عنه، في التّفسير والقراءات والحديث والفقه والأجزاء المُفْرَدَة والعربيّة والآداب.

وعَدّ له برُوكِلْمان ٤١٥ مصنَّفاً، وفلُوغِل ٥٦٠ مصنّفاً، وذكر له جميل بك العَظْم ٥٧٦ مصنّفاً.

وقال ابن إياس في تاريخه: بلغَتْ مؤلفاته ستُّ مائة مؤلّف.

وقال الشّعراني في ذيل طبقاته: له من المؤلّفات أربع مائةٍ وستّون مؤلّفاً مذكورة في فهرس كتبه.

تفرغه:

تفرَّغ السّيوطي طِوال عُمُره للتّدريس والفُتيا والتأليف، ولكنّه حينما تقدّمت به السّنّ هجر الإفتاء والتّدريس، واعتزل النّاس متجرّداً للعبادة والتّصنيف، وألّف في ذلك كتاباً أسماه: النّفيس في الاعتذار عن الفُتيا والتّدريس.

وفاته:

ومات رضي الله عنه في سَحَر ليلة الجمعة، تاسع عشر جُمادى الأُولى سنة إحدى عشرة وتسع مائة، وكان مرضه سبعة أيّام بِوَرَمٍ شديدٍ في ذراعه اليسار، فقد استكمل من العُمُر إحدى وستّين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يوماً.

وكان له مَشْهَدٍ عظيمٍ، ودُفِن بِحَوْش قُوصُون خارج باب القَرَافة، وقبره ظاهرٌ وعليه قُبَّة[1].

---

(١) اختصرت الترجمة من كتابه الحاوي للفتاوي المنقولة عن كتاب حسن المحاضرة للإمام السيوطي الذي ترجم فيه لنفسه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَزْيين الأَرائِك في إرسال النّبيِّ ﷺ إلى المَلائِك

مسألة: ما تقولون في قول العلماء أنّه صلّى الله عليه وسلّم لم يُبعث إلى الملائكة، وفي قول الحافظ زين الدّين العِراقي: إنّ السّماء ليست محلاًّ للتّكليف.

وقد أُشْكِل ذلك بأمور:

منها: قوله صلّى الله عليه وسلّم: «وأُرْسِلت إلى الخلق كافّة»[1] والخلق يعمُّ الإنس والجنّ والملائكة، فإن فُسِّر بالثّقلين فقط فما المخصِّص؟.

وقوله: (ليكون للعالمين نذيراً)[2] والعالَم يعمّ الملائكة.

وقوله: (وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ)[3] وقد بَلَغَ الملائكة.

وقد ورد: إنّ الملائكة لا يفْتَرُون عن عبادة ربّهم[4].

وورد صريحاً: أنّهم يتعبّدون بعبادات هذه الأمّة كحديث ابن عمر: «إنّ أهل السّماء لا يسمعون من أهل الأرض إلا الأذان»[5][6].

---

(١) تقدم.

(٢) الفرقان الآية (١).

(٣) الأنعام الآية (١٩).

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأنبياء الآية (٢٠): (يسبحون الليل والنهار لا يفترون).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف(٤٨٦/١)، والطرسوسي في مسند عبد الله بن عمر (١٢)، والمناوي في فيض القدير (٤٣٩/٢) وعزاه إلى ابن الجوزي، والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٢٣٠/١)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٣٩٢/١) وقال: حديث لا يصح، ويحيى عبيد الله الوصافي: ليس بشيء، وقال الفلاس: متروك الحديث.

(٦) أخرج البخاري في كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة (٢٩٦٨)، ومسلم في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله (٢٣٤-٢٣٨)، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى

وحديث سَلمان: «إذا كان الرّجل في أرض فأقام الصّلاة صلّى خلفه مَلَكان، فإذا أَذّن وأقام صلّى خلفه من الملائكة ما لا يرى طرفاه، يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ويؤمِّنون على دعائه»[(١)].

وقد قاتلت الملائكة الكفّار[(٢)]، وتحضر صلاة الجمعة[(٣)]، وغير ذلك ممّا يطول،

الله عليه وسلم: ... فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم.

وأخرج الترمذي في كتاب الزهد باب في قول النبي لو تعلمون ما أعلم لضحكتم (٢٢٣٤) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه في كتاب الزهد باب الحزن والبكاء (٤١٨٠)، وأحمد في كتاب مسند الأنصار باب حديث أبي ذر الغفاري (٢٠٥٣٩)، عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط؛ ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد.

ففي هذين الحديثين دليل على عبادة الملائكة بعبادة هذه الأمة؛ لأنه لا يتصور صلاة غير صلاتنا، أو صفة صلاة غير صفة صلاتنا.

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١/٤٠٥-٤٠٦) وقال: الصحيح موقوف وقد روي مرفوعا ولا يصح رفعه، والطبراني في الكبير (٦١٢٠)، وعبد الرزاق في المصنف (١/٥١٠)، وابن أبي شيبة (١/ ١٩٨-١٩٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/١١٤-١٦٢).

وأخرج مالك في كتاب النداء للصلاة باب النداء في السفر (١٤٦)، وعبد الرزاق في المصنف (١/٥١٠): عن سعيد بن المسيب أنه كان يقول: من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك، وعن شماله ملك، فإذا أذن وأقام الصلاة أو أقام صلى وراءه من الملائكة أمثال الجبال.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر (٣٣٠٩)، عن عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر... فأنزل الله عز وجل: (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) فأمده الله بالملائكة ...الخ.

وأخرج أحمد أيضا في غزوة بدر في كتاب مسند العشرة المبشرين بالجنة باب ومن مسند علي بن أبي طالب (٩٠٥)، وفيه... فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيرا، فقال العباس: يا رسول الله إن هذا والله ما أسرني لقد أسرني، رجل أجلح من أحسن الناس وجها، على فرس أبلق ما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله، فقال: اسكت، فقد أيدك الله تعالى بملك كريم، فقال علي رضي الله عنه: فأسرنا وأسرنا من بني عبد المطلب العباس، وعقيلا، ونوفل بن الحارث.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة باب الاستماع إلى الخطبة (٨٧٧)، وفي كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة (٢٩٧٢)، ومسلم في كتاب الجمعة باب فضل التهجير يوم الجمعة (١٤١٦-

أشكل ذلك.

الجواب: الحمد لله، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى.

سألتَ أكرمَكَ الله فأحسنتَ غاية الإحسان، وأوردتَ فأتقنتَ كلّ الإتقان، وأنا أجيبك عن ذلك بجوابين:

أحدهما جَدَلي، **والآخر** تحقيقي.

أمّا الجواب الجَدَلي:

فقولك: الخلق يعمّ، والعالمين يعمّ، ومن بَلَغَ يعمّ.

جوابه: إنّه من العامّ المخصوص أو المراد به الخصوص.

وقولك: ما هو المخصّص؟.

جوابه: إنّ مستنده الإجماع الذي ادّعاه مَن ادّعى.

وقولك: ورد أنّهم لا يفْتَرُون.

جوابه: مَنْع الملازمة بينه وبين المدّعي الذي هو بعثته إليهم؛ لأنّ عبادتهم تكون بالأخذ عن ربّهم أو بإرسال مَلَك من جنسهم إليهم كجبريل أو إسرافيل أو غيرهما قال تعالى: (الله يصطفي من الملائكة رُسلاً ومن النّاس)[1]، وقال تعالى: (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزّلنا عليهم من السماء مَلَكاً رسولاً)[2].

وقولك: ورد صريحاً أنّهم يتعبّدون بعبادات هذه الأمّة، ثمّ أوردتَ حديث ابن عمر وليس فيه دَلالة فَضْلاً عن صراحة؛ لأنّ أكثر ما فيه أنّهم يسمعون الأذان وليس فيه أنّهم

١٤١٧)، عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول، ومثل المهجر كمثل الذي يهدي بدنة، ثم كالذي يهدي بقرة، ثم كبشا، ثم دجاجة، ثم بيضة، فإذا خرج الإمام طووا صحفهم ويستمعون الذكر. واللفظ للبخاري.

(١) الحج الآية (٧٥).

(٢) الإسراء الآية (٩٥).

يتعبّدون به.

وحديث سَلمان ظاهرٌ فيما ذكرتَ مع أنّه يمكن أن لا يكون ذلك صادراً عن بعثته إليهم كما تقدّم.

وقولك: وقد قاتلت الملائكة الكفّار فيه أيضاً ما تقدّم عن عدم الملازمة مع أنّها لم تقاتل إلا في بدرٍ خاصّة[1].

---

(١) أجمع العلماء قاطبة على إنزال الملائكة في غزوة حنين لكن اختلفوا في قتالهم، والصحيح أنهم قاتلوا.

دليله: ظاهر القرآن، وإجماع العلماء.

أما ظاهر القرآن: فقد قال تعالى: (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين) التوبة الآية (٢٥-٢٦).

فهذه الآيتان فيها دليلان على ما قلت:

الأول: في الآية الأولى ذكر بالنص حنين.

والثاني: في الآية الثانية ذكر أنه أنزل جنودا، ولا يتصور من إنزال الجنود إلا القتال.

وعليه انعقد إجماع العلماء.

وأما الإجماع: فقد ذكر العلماء في تفاسيرهم قتال الملائكة: كالطبري في جامع البيان (١٠/ ١٠٣-١٠٤)، وابن كثير (١/٤٠٣)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٨/١٠١)، والنسفي (١/٤٩١)، والبيضاوي (٣/ ١٣٨)، والثعالبي (٢/١٢٤)، والواحدي (١/٤٥٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/٤١٦)، والشوكاني في فتح القدير (١/٣٧٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٠٩)، والبغوي (١/٣٤٩)، والآلوسي في روح المعاني (٤/٤٦)، و (٩/١٧٤)، و (١٠-٧٥)، وأبي السعود (٤/٥٦)، والجلالين (١/٢٤٤).

وأما تخصيص الإمام السيوطي بأن الملائكة لم يقاتلوا إلا في بدر فغير صحيح؛ لأن الملائكة قاتلت في حنين وغيرها كما سيأتي، ولا يحتمل معنى الإنزال إلا القتال؛ لأن الملائكة كما صح أنها كانت ترابط في الشُّعُب، فتنزل إلى مقاتلة الكفار، ولم يكونوا يروها أو يعلموا بها ولا المؤمنين قبل القتال، أين كانوا؟ وكيف هاجموا؟ وكيف كانت صفوفهم؟ إلا عند نزولها إليهم، أو كانت لا ترى إلا في المعركة من غير أن يعرف أحد من أين جاءت؟، أو كيف دخلت؟، ومنهم من يعرف أن الملائكة قاتلت، ومنهم لا يعرف أبدا إلا بإعلام النبي لهم أو القرآن.

ألا ترى أن العباس لما أسر لم يكن أحد من الصحابة يعرف أن الذي أسره ملك، ولكن العباس رآه ووصفه، والصحابي أنكر ذلك أمام رسول الله ﷺ وأنه هو الذي أسره، فإذا برسول الله ﷺ يُعْلِمُ أن

الذي أسر العباس ملك، وكذلك ألا ترى قول الصحابي لرسول الله أنه سمع في غزوة بدر صوتا لم يعرفه، إلا أنه سمع منه أَقْدِم حيزوم؛ فهذا دليل على أن الصحابة لم يكن لهم علم بقتال الملائكة، فلو كان الخبر مستفيضاً لانتشر بينهم وتواتر، وعلم الكل بقتال الملائكة أثناء المعركة وبعدها.

فمنه يعلم أن الملائكة قاتلت في حنين، ولكن الخبر لم يشتهر ويستفيض فيها كما في غيرها، إلا أن رسول الله ﷺ أعْلَمَهُمْ بقتال الملائكة بعد المعركة، أو نزل فيها قرآنا يبين ذلك.

وأما ما ورد من نزول الملائكة في غزوة حنين: أخرج الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/١٨١-١٨٢) وقال: رواه الطبراني ورجالهما ثقات، والطيالسي في مسنده (١/١٩٥)، والشيباني في الآحاد والمثاني (٢/١٤٣)، والطبراني في الكبير (٧٤١): عن أبي عبد الرحمن الفهري قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين... قال: فحدثني من هو أقرب إليه مني أنه ضرب وجوههم وقال: شاهت الوجوه، فهزم الله المشركين، قال: فحدثني أبناؤهم أن آباءهم قالوا: فما بقي منا يومئذ أحدا إلا امتلأت عينه وفمه ترابا، وسمعنا صلصلة من السماء إلى الأرض كإمرار الحديد على الطست.

وأخرج البيهقي في دلائل النبوة (٥/١٤٦)، وابن كثير في البداية والنهاية (٤/٣٣٤)، والشوكاني في فتح القدير (٢/٣٤٩)، عن جبير بن مطعم قال: لَمَعَ رسول الله يوم حنين والناس يقتتلون إذا نظرت إلى مثل البجاد الأسود يهوي من السماء، حتى وقع بيننا وبين القوم، فإذا نمل منثور قد ملأ الوادي فلم تكن إلا هزيمة القوم، فما كنا نشك أنها الملائكة. وفي رواية أخرى له أيضاً في دلائل النبوة (٥/١٤٦)، عن مصعب بن شيبة عن أبيه: ... فقلت وأنا واقف معه: يا رسول الله إني أرى خيلا بلقا. وهذه الأحاديث كلها مقبولة كما أشار إلى ذلك البيهقي في الدلائل (١/٤٦).

وأما ما ورد من أن الملائكة لم يقاتلوا إلا في بدر فقد ذكره العلماء في تفاسيرهم كالقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٨/١٠١)، والبغوي (١/٣٤٧-٣٤٨)، و(٢/٢٨١-٢٣٣)، والشوكاني في فتح القدير (١/٣٧٩-٣٨٠)، وابن كثير (١/٤٠٣)، وقالوا: (وأنزل جنودا لم تروها) وهم الملائكة، يقوون المؤمنين بما يلقون في قلوبهم من الخواطر والتثبيت، ويضعفون الكافرين بالتجبين لهم من حيث لا يرونهم ومن غير قتال؛ لأن الملائكة لم تقاتل إلا يوم بدر.

وقال الآلوسي في روح المعاني (١٠/٧٥): والجمهور على أن الملائكة لم يقاتلوا إلا يوم بدر، وإنما نزلوا لتقوية قلوب المؤمنين بإلقاء الخواطر الحسنة وتأييدهم بذلك، وإلقاء الرعب في قلوب المشركين.

فقول الآلوسي: والجمهور على أن الملائكة لم يقاتلوا إلا يوم بدر غير صحيح؛ بل الصحيح خلافه كما تقدم من ظاهر القرآن وإجماع العلماء.

تنبيه: روي عن نزول الملائكة في حنين وعدم نزولهم عن ابن عباس وغيره كلا الأمرين، والمعروف: أن المثبت يقدم على المنفي، وكما أشرنا فظاهر القرآن وإجماع العلماء يؤيد نزولهم.

وكذلك فالمفسرين عند ذكرهم لعدم قتال الملائكة في حنين كان نقلاً إخباريا وليس تحقيقا لمسألة القتال وعدمه، ولهذا تراهم ذكروا كلا الأمرين القتال وخلافه، وحاشا أن يكون المفسرين خالفوا ظاهر القرآن... والسنة، وكذلك لم ينقل نص صريح صحيح في عدم قتال الملائكة. وبهذا فقد بان ضعف قول من عزا إلى ابن عباس من غير تمحيص، وإن مثل ابن عباس لا يقول مثل هذا الكلام لما فيه من مخالفة ظاهر القرآن، ورحم الله ابن عابدين عندما قال في شرح منظومة عقود رسم المفتي (٧): وقد يتفق نقل قول في نحو عشرين كتابا من كتب المتأخرين ويكون القول خطأ أخطأ به أول واضع له، فيأتي مَن بعده وينقله عنه وهكذا ينقل بعضهم عن بعض.

وأما ما ورد في قتال الملائكة في غزوة بدر: أخرج مسلم في كتاب الجهاد باب الإمداد بالملائكة (٣٣٠٩)، عن عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه، اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، ... فأمده الله بالملائكة.

وأما ما ورد في قتال الملائكة في غزوة أحد: أخرج البخاري في كتاب المغازي باب إذا همت طائفتان منكم (٣٧٤٨)، وفي كتاب اللباس باب الثياب البيض (٥٣٧٨)، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد.

وقد أوضح مسلم عن الرجلين اللذين كانا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخرج في كتاب الفضائل باب في قتال جبريل وميكائيل (٤٢٦٤-٤٢٦٥)، عن سعد قال: رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض ما رأيتهما قبل ولا بعد، يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام.

وفي رواية أخرى أخرجها البخاري في كتاب المغازي باب غروة أحد (٣٧٣٥): عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد: هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب.

وأما ما ورد من قتال الملائكة بني قريظة: أخرج البخاري في كتاب المغازي باب مرجع النبي من الأحزاب (٣٨٠٨-٣٨١٣)، عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل عليه السلام فقال: قد وضعت السلاح، والله ما وضعناه فاخرج إليهم، قال: فإلى أين؟ قال: ها هنا، وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إليهم.

=

وعنه في رواية أخرى في كتاب المغازي باب مرجع النبي من الأحزاب (٣٨٠٩)، عن أنس رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم موكب جبريل صلوات الله عليه حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة.

وأما ما ورد في قتال الملائكة في غزوة الخندق أو الأحزاب: فقد أخرج مسلم في كتاب الجهاد باب غزوة الأحزاب بأخصر من لفظ أحمد (٣٣٤٣)، وأحمد في كتاب باقي مسند الأنصار باب حديث حذيفة بن اليمان (٢٢٢٤٤)، عن كعب بن محمد قال: قال فتى منا من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه؟، قال: نعم يا ابن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟، قال: والله لقد كنا نجهد، قال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولجعلناه على أعناقنا، ... ثم التفت إلينا فقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم يشترط له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يرجع أدخله الله الجنة فما قام رجل، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت إلينا فقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع يشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة، أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من القوم مع شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني، فقال: يا حذيفة فاذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا، قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل ما تفعل لا تقر لهم قدر ولا نار ولا بناء، فقام أبو سفيان بن حرب فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه، فقال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي فقلت: من أنت؟ قال: أنا فلان بن فلان، ثم قال: أبو سفيان يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع وأخلفتنا بنو قريظة، بلغنا منهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون، والله ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحدث شيئا حتى تأتيني ولو شئت لقتلته بسهم، قال حذيفة: ثم رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مِرط لبعض نسائه مرحل، فلما رآني أدخلني إلى رحله وطرح عليّ طرف المرط، ثم ركع وسجد وإنه لفيه فلما سلم أخبرته الخبر، وسمعت غطفان بما فعلت قريش وانشمروا إلى بلادهم. واللفظ لأحمد.

وأما ما ورد من تشييع الملائكة بعض من جاهد من أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم: فقد أخرج البخاري في كتاب الجنائز باب الدخول على الميت (١١٦٧)، وفي باب ما يكره من النياحة على الميت (١٢١١)، وفي كتاب الجهاد والسير باب ظل الملائكة على الشهيد (٢٦٠٥)، وفي كتاب المغازي باب من قُتل من المسلمين (٣٧٧١)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عبد الله بن عمرو بن حرام (٤٥١٧-٤٥١٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما قتل أبي جعلت أكشف الثوب عن وجهه أبكي وينهوني عنه، والنبي صلى الله عليه وسلم

=

وقولك: وتحضر صلاة الجمعة، إنّما حضرت لكتابة الحاضرين على طبقات مجيئهم، وذلك من التّكليفات الكونيّة التي هي وظيفة الملائكة لا الشّرعية التي بُعِثَت بها الرّسل، هذا آخر الجواب الجَدَلي.

أمّا الجواب التحقيقي: فاعلم أنّ العلماء اختلفوا في بعثة النّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم إلى الملائكة على قولين:

لا ينهاني، فجعلت عمتي فاطمة تبكي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: تبكين أوْ لا تبكين ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه.

وأخرج الترمذي في كتاب المناقب باب مناقب سعد بن معاذ (٣٧٨٤) وقال: حديث حسن صحيح غريب، عن أنس بن مالك قال: لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون: ما أخف جنازته؛ وذلك لحكمه في بني قريظة، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن الملائكة كانت تحمله.

فائدة: قال ابن كثير في تفسيره (٤٠٢/١)، والآلوسي في روح المعاني (٤٦/٤)، عن قوله تعالى: (بألف من الملائكة مردفين) الأنفال الآية (٩)، وقوله تعالى في آل عمران الآية (١٢٤-١٢٥): (بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين)، وقوله: (بخمسة آلاف من الملائكة مسومين)، قال الربيع بن أنس: أمد الله المسلمين بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف.

فإن قيل: فما الجمع بين هذه الآيات على هذا القول.

فالجواب: أن التنصيص على الألف ها هنا لا ينافي الثلاثة الآلاف فما فوقها، لقوله: مردفين، بمعنى يردفهم غيرهم ويتبعهم ألوف أخر مثلهم، وكان ذلك يوم بدر.

فائدة أخرى: قال ابن حجر في فتح الباري (٣١٣/٧)، والتليدي في تهذيب الخصائص للسيوطي (١٤٧): قال الشيخ تقي الدين السبكي: سئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي صلى الله عليه وسلم مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه؟ فقلت: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وتكون الملائكة مددا على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب وسنتها التي أجراها الله تعالى في عباده، والله تعالى هو فاعل الجميع والله أعلم.

وذكر التليدي أيضا في تهذيب الخصائص في حكمة إرسال الجنود من الملائكة (١٤٨) فقال: لكن الله فضّل محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بكل شيء على كبار الأنبياء وأولي العزم من الرسل ما لم يؤته أحدا، وإن إنزال الجنود من عظائم الأمور التي لا يؤهل لها إلا مثلك وما كنا نفعله بغيرك.

أصحابنا، ومحمود بن حمزة الكَرَماني في كتابه العجائب والغرائب وهو من أئمة الحنفية، ونقل البرهان النّسفي والفخر الرّازي في تفسيريهما الإجماع عليه[١]، وجزم به من المتأخّرين الحافظ زين الدّين العِراقي في نُكَتِه على ابن الصّلاح، والشيخ جلال الدّين المَحَلّي في شرح جمع الجوامع، وتبعتهما في كتابَيْ شرح التّقريب في الحديث، وشرح الكوكب السّاطع في الأصول.

والقول الثّاني: إنّه كان مبعوثاً إليهم، وهذا القول رجّحته في كتاب الخصائص[٢]، وقد رجّحه قبلي الشيخ تقيّ الدّين السُّبْكي وزاد أنّه صلّى الله عليه وسلّم مُرْسَل إلى جميع الأنبياء والأُمم السّابقة، وإنّ قوله: «بُعِثْت إلى النّاس كافّة»[٣] شامل لهم من لَدُن آدم إلى قيام السّاعة، ورجّحه أيضاً البارِزي وزاد أنّه مُرسَل إلى جميع الحيوانات[٤] والجمادات، واستدلّ بشهادة الضَّبِّ له بالرّسالة[٥]، وشهادة

(١) انظر، التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب للإمام الرازي (٢١/٦٠-٦١).

(٢) انظر تهذيب الخصائص النبوية الكبرى للإمام السيوطي (٣٥٦).

(٣) تقدم.

(٤) أخرج أحمد في كتاب باقي مسند المكثرين باب مسند جابر بن عبد الله (١٣٨١٤)، والدارمي في كتاب المقدمة باب ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر به والبهائم (١٨)، عن جابر بن عبد الله قال: أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بني النجار إذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلا شد عليه، قال: فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فجاء حتى أتى الحائط فدعا البعير فجاء واضعا مشفره إلى الأرض حتى برك بين يديه قال، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هاتوا خطاما فخطمه ودفعه إلى صاحبه، قال، ثم التفت إلى الناس، قال: إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٩٩٦)، والصغير (٩٤٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٩٢-٢٩٣-٢٩٤) وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط عن شيخه محمد بن علي بن الوليد البصري، قال البيهقي: والحمل في هذا الحديث عليه، قلت: وبقية رجاله رجال الصحيح، والشامي في سبل الهدى والرشاد (٩/٥٢٠-٥٢١) وضعفه، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/٣٦) وقال: وما ذكرناه هو أمثل الإسناد فيه، وابن كثير في البداية والنهاية (٦/١٤٩-١٥٠)، عن عمر بن الخطاب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي من بني سليم قد صاد ضبا وجعله في كمّه، فذهب به إلى رحله فرأى جماعة فقال: على من هذه الجماعة؟، فقالوا: على هذا الذي يزعم أنه النبي، فشق الناس، ثم أقبل على رسول الله صلى الله
=

الحَجَر[(١)] والشّجَر له[(٢)]، وأَزيد على ذلك أنّه مُرسَل إلى نفسه.

عليه وسلم فقال: يا محمد ما اشتملت النساء على ذي لهجة أكذب منك وأنقص، ولولا أن تسميني العرب عجولا لعجلت عليك فقتلتك فسررت بقتلك الناس أجمعين، فقال عمر: يا رسول الله دعني أقتله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما علمت أن الحليم كاد يكون نبيا، ثم أقبل الأعرابي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: واللات والعزى لا آمنت بك، وقد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أعرابي ما حملك على أن قلت ما قلت؟، وقلت غير الحق ولم تكرم مجلسي، قال: وتكلمني أيضا استخفافا برسول الله صلى الله عليه وسلم، واللات والعزى لا آمنت بك حتى يؤمن بك هذا الضب، فأخرج الضب من كمه فطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إن آمن بك هذا الضب آمنت بك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا ضب، فكلمه الضب بلسان عربي مبين يفهمه القوم جميعا لبيك وسعديك يا رسول رب العالمين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من تعبد؟، قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عذابه، قال: فمن أنا يا ضب؟، قال: أنت رسول رب العالمين وخاتم النبيين، قد أفلح من صدقك، وقد خاب من كذبك، فقال الأعرابي: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله حقا ... واللفظ للهيثمي.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي وتسليم الحجر (٤٢٢٢)، عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن.

وفي رواية أخرى للترمذي في كتاب المناقب باب ما جاء في بدء الدعوة (٣٥٥٣) وقال: حديث حسن غريب، عن أبي موسى: ... فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟، فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا، ولا يسجدان إلا لنبي.

(٢) أخرج ابن حبان في صحيحه (٦٥٢٣) وقال المحشي: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير إبراهيم السامي، والهيثمي في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (٢١١١) عن ابن عباس قال: جاء رجل من بني عامر إلى النبي صلى الله عليه وسلم كأنه يداوي ويعالج فقال: يا محمد إنك تقول أشياء هل لك أن أداويك؟، قال: فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله ثم قال: هل لك أن أريك آية؟، وعنده نخل وشجر فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عذقا منها، فأقبل إليه وهو يسجد ويرفع رأسه ويسجد ويرفع رأسه حتى انتهى إليه صلى الله عليه وسلم فقام بين يديه، ثم قال له صلى الله عليه وسلم: ارجع إلى مكانك، فقال العامري: والله لا أكذبك بشيء تقوله أبدا ثم قال: يا آل عامر بن صعصعة والله لا أكذبه بشيء. قال: والعذق: النخلة.

وفي رواية أخرى عند ابن حبان (٦٥٠٥) وقال المحشي: رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن عمر الجعفي، والهيثمي في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (٢٢١٠)، عن ابن عمر قال: كنا

مُرسَل إلى نفسه.

ذِكر الأدلّة التي أُخذت منها إرساله إلى الملائكة

هي قسمان: ما يدلّ بطريق العموم، وما يدلّ بطريق الخصوص.

فالذي يدلّ بطريق العموم: قوله تعالى: (تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً)[١] والعالمون شاملٌ للملائكة كما هو شاملٌ للإنس والجنّ.

وقد أجمع المفسِّرون على أنّ قوله تعالى: (الحمد لله ربّ العالمين)[٢] شاملٌ لهؤلاء الثّلاثة فكذلك هذا.

والأصل بقاء اللّفظ على عمومه حتّى يدلّ الدّليل على إخراج شيءٍ منه، ولم يدلّ هنا دليلٌ على إخراج الملائكة ولا سبيل إلى وجوده لا من القرآن ولا من الحديث، وقد نُوزِع من ادّعى الإجماع في هذه الدّعوى، فمن أين تخصيصه بالإنس والجنّ فقط دون الملائكة؟.

وكذا قوله تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)[٣] فإنّه أيضاً شاملٌ للملائكة.

وذكر صاحب الشّفا[٤]: أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال لجبريل: «هل أصابك من هذه الرّحمة شيءٌ، قال: نعم، كنت أخشى العاقبة فأَمِنْتُ لثناء الله عليّ في القرآن بقوله:

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير، فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين تريد؟، قال: إلى أهلي، قال: هل لك إلى خير؟، قال: ما هو، قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، قال: هل من شاهد على ما تقول؟، قال صلى الله عليه وسلم: هذه الشجرة، فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي في شاطىء الوادي فأقبلت تخد الأرض خدا حتى قامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال، ثم رجعت إلى منبتها ورجع الأعرابي إلى قومه، وقال: إن يتبعوني أتيتك بهم وإلا رجعت إليك وكنت معك.

(١) الفرقان الآية (١).

(٢) الفاتحة (٢).

(٣) الأنبياء الآية (١٠٧).

(٤) انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (١/ ١٧).

(ذي قوّةٍ عند ذي العرش مكين))[١][٢] إلا أنّ هذا الحديث لم يُوقَف له على إسنادٍ.

وأمّا ما يدلّ بالخصوص: فقد استنبطتُ أدلّةً لم أُسبَق إليها:

الدّليل الأوّل: وهو أقواها قوله تعالى: (وقالوا اتخذ الرّحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون) يعني الملائكة (لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) ثمّ قال: (ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنّم)[٣].

أخرج ابن أبي حاتم: عن الضّحّاك في قوله: (ومن يقل منهم) قال: يعني من الملائكة[٤].

وأخرج ابن المنذر: عن ابن جريج في قوله: (ومن يقل منهم إني إله من دونه)[٥] قال: من الملائكة[٦].

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مَرْدَوَيْه، والبيهقي في دلائل النّبوّة: عن ابن عباس قال: «إنّ الله قال لأهل السّماء: (ومَن يقل منهم إنّي إله من دونه فذلك نجزيه جهنم))[٧].

---

(١) التكوير الآية (٢٠).

(٢) تقدم.

(٣) الأنبياء الآية (٢٦-٢٧-٢٨-٢٩).

(٤) انظر الدر المنثور (٥/٦٢٥).

(٥) الأنبياء الآية (٢٩).

(٦) انظر تفسير الطبري (١٧/١٧).

(٧) انظر الدر المنثور (٥/٤) وعزاه إلى عبد بن حميد، وأبي يعلى، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، والحاكم في المستدرك (٣٣٣٥) وقال: صحيح الإسناد، فإن الحكم بن أبان قد احتج به جماعة من أئمة الإسلام ولم يخرجه الشيخان، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح، والدارمي في كتاب المقدمة باب ما أعطي النبي من الفضل (٤٦)، وأبو يعلى في مسنده (٢٧٠٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١١٦١٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٥٥) وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الحكم بن أبان وهو ثقة، عن ابن عباس قال: إن الله فضل محمدا على الأنبياء وعلى أهل السماء، فقالوا: يا ابن عباس بم فضله على

فهذه الآية إنذارٌ للملائكة على لسان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في القرآن الذي أنزل عليه، وقد قال تعالى: (وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ)[١] فثبت بذلك إرساله إليهم، ولم أقف إلى الآن على إنذار وقع في القرآن للملائكة سوى هذه الآية، والحكمة في ذلك واضحةٌ؛ لأنّ غالب المعاصي راجعةٌ إلى البطن والفرج وذلك ممتنعٌ عليهم من حيث الخِلقة فاستغنى عن إنذارهم فيه، ولمّا وقع من إبليس وكان منهم أو فيهم نظير هذه المعصية أُنْذِروا فيها.

نعم وقع في القرآن آيةٌ أخرى بسببهم لكنّها من باب الإخبار لا الإنذار المَحْض وهي قوله تعالى: (كلّ شيء هالك إلا وجهه)[٢].

أخرج ابن المنذر: عن ابن جريج قال: «لمّا نزلت: (كلّ من عليها فان)[٣] قالت الملائكة: هلك أهل الأرض، فلمّا نزلت: (كلّ نفس ذائقة الموت)[٤] قالت الملائكة: هلك كلّ نفس، فلمّا نزلت: (كلّ شيء هالك إلا وجهه)[٢] قالت الملائكة: هلك أهل السّماء وأهل الأرض»[٥].

الدّليل الثّاني: ما أخرجه عبد الرّزاق في مصنّفه: عن عِكْرِمَة قال: «صفوف أهل الأرض على صفوف أهل السّماء، فإذا وافق آمين في الأرض آمين في السماء غُفر

= أهل السماء؟، قال: إن الله قال لأهل السماء: (ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) الآية، وقال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم: (إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)، قالوا: فما فضله على الأنبياء؟، قال: قال الله عز وجل: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) الآية، وقال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم: (وما أرسلناك إلا كافة للناس) فأرسله إلى الجن والإنس. وفي رواية البيهقي في دلائل النبوة (٤٨٦/٥)، ... فأرسله إلى الجن والإنس، يقول: (يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا).

(١) الأنعام الآية (١٩).

(٢) القصص الآية (٨٨).

(٣) الرحمن الآية (٢٦).

(٤) آل عمران الآية (١٨٥).

(٥) انظر الدر المنثور (٤٤٧/٦).

للعبد»[١].

هذا يدلّ على أنّ الملائكة في السّماء تصلّي بصلاة أهل الأرض.

ويرشّحه ما أخرجه مالك، والشّافعي، وأحمد، والأئمة السِّتَّة: عن أبي هريرة: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «إذا أَمَّن الإمام فأمِّنوا، فإنّه مَن وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدّم من ذنبه»[٢].

وأخرج أبو يعلى في مسنده: عن أبي هريرة: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضّالين، قال الذين خلفه: آمين، التقت من أهل السماء وأهل الأرض آمين، غَفر الله للعبد ما تقدّم من ذنبه»[٣].

وأخرج مسلم: عن جابر بن سَمُرة: أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم خرج على أصحابه فقال: «ألا تصفّون كما تصفّ الملائكة عند ربّها، قالوا: وكيف تصفّ الملائكة عند ربّها؟، قال: يُتِمّون الصفّ الأوّل فالأوّل ويتراصّون في الصّفوف»[٤].

وأخرج سعيد بن منصور في سننه، وابن أبي شَيْبَة في مصنّفه: عن أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «الصفّ الأوّل على مِثل الملائكة»[٥].

---

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢/٩٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب جهر الإمام بالتأمين (٧٣٨)، وفي كتاب الدعوات باب التأمين (٥٩٢٣)، ومسلم في كتاب الصلاة باب التسميع والتحميد والتأمين (٦١٨).

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦٤١١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/١١٣) وقال: رواه أبو يعلى وفيه ليث بن أبي سليم وهو ثقة مدلس وقد عنعنه، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٩٥).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب الأمر بالسكون في الصلاة (٧٥١).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١/٣٣٣)، وأبو داود في كتاب الصلاة باب في فضل صلاة الجماعة (٤٦٧)، والنسائي في كتاب الإمامة باب الجماعة إذا كانوا اثنين (٨٣٤)، وأحمد في كتاب مسند الأنصار باب حديث أبي بصير العبدي (٢٠٣١٢)، عن أبي بن كعب قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الصبح فقال: أشاهد فلان؟، قالوا: لا، قال: أشاهد فلان،؟ قالوا: لا، قال: إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين، ولو تعلمون ما فيهما لأتيتموهما ولو حبوا على الركب، وإن الصف الأول على مثل صف الملائكة، ولو علمتم ما

الدّليل الثّالث: ما أخرجه أبو الشّيخ ابن حَيّان في كتاب العظمة: من طريق اللّيث قال: حدّثني خالد عن سعيد قال: «بلغنا أنّ إسرافيل مؤذّن أهل السّماء يسمع تأذينه مَن في السّموات السّبع ومَن في الأرضِين إلا الجنّ والإنس، ثمّ يتقدّم بهم عظيم الملائكة يصلّي بهم، قال: وبلغنا أنّ ميكائيل يؤُمُّ الملائكة في البيت المعمور»[١].

هذا يدلّ على أنّ الملائكة يؤذّنون أذاننا ويصلّون صلاتنا.

الدّليل الرّابع: ما أخرجه سعيد بن منصور: عن ابن مسعود: «أنّه دخل المسجد لصلاة الفجر فإذا قومٌ قد أسندوا ظهورهم إلى القِبلة فقال: هكذا عن وجوه الملائكة ثمّ قال: لا تَحُولوا بين الملائكة وبين صلاتها فإنّ هذه الرّكعتين صلاة الملائكة»[٢].

وأخرج أيضاً: عن إبراهيم النّخعي قال: «كان يكرهون التّسانُد إلى القِبلة بعد ركعتي الفجر»[٣].

وأخرج أحمد في مسنده: عن حابس بن سعد وكانت له صحبة: أنّه دخل المسجد في السَّحَر فرأى النّاس يصلّون في صفة المسجد فقال: «إنّ الملائكة تصلّي في السَّحَر في مُقَدَّم المسجد»[٤].

دلّت هذه الآثار على أنّ الملائكة تصلّي في جماعتنا صلاة الفجر وتحضرها في مساجدنا.

ويرشّحه ما أخرجه البخاري، ومسلم: عن أبي هريرة: عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «تجتمع ملائكة اللّيل وملائكة النّهار في صلاة الفجر، يقول أبو هريرة: اقرأوا إن

فضيلته لابتدرتموه، وإن صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل، وما كثر فهو أحب إلى الله تعالى. واللفظ لأبي داود.

(١) أخرجه الأصبهاني في العظمة (٨٥٧/٣).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٩٤٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢٣/٢) وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥٨/٢).

(٤) أخرجه أحمد في كتاب مسند الشاميين باب حديث حابس (١٦٣٨٨).

شئتم: (وقرآن الفجر إنّ قرآن الفجر كان مشهوداً)»[١][٢].

وأخرج أحمد، والتِّرْمِذِي وصحّحه، والنَّسائي، وابن ماجه: عن أبي هريرة: عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في قوله: «(وقرآن الفجر إنّ قرآن الفجر كان مشهوداً)[٣] قال: تشهده ملائكة اللّيل وملائكة النّهار» .

وأخرج ابن جرير: عن ابن مسعود: «أنّه كان يُحَدِّث أنّ صلاة الفجر عندها يجتمع الحَرَسان من ملائكة الله ويقرأ هذه الآية»[٥].

وأخرج: عن قتادة: قوله: «(وقرآن الفجر) قال: صلاة الفجر، وفي قوله: (كان مشهوداً) يقول: ملائكة اللّيل وملائكة النّهار يشهدون تلك الصّلاة»[٦].

وأخرج: عن إبراهيم النّخعي: في قوله: «(وقرآن الفجر إنّ قرآن الفجر كان مشهوداً)[٧] قال: كانوا يقولون: تجتمع ملائكة اللّيل وملائكة النّهار في صلاة الفجر فيشهدونها جميعاً ثمّ يصعد هؤلاء ويقيم هؤلاء»[٨].

الدّليل الخامس: ما أخرجه سعيد بن منصور، وابن أبي شَيْبَة، والبيهقي في سننه: عن سَلمان الفارسي موقوفاً، والبيهقي من وجه آخر عن سَلمان مرفوعاً قال: «إذا كان الرّجل في أرضٍ فأقام الصّلاة صلّى خلفه مَلَكان، فإن أَذَّن وأقام صلّى خلفه من الملائكة

---

(١) الإسراء الآية (٧٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب فضل صلاة الفجر في جماعة (٦١٢)، وفي كتاب تفسير القرآن باب قوله: (إن قرآن الفجر كان مشهودا) (٤٣٤٨)، ومسلم في كتاب المساجد باب فضل صلاة الجماعة (١٠٣٥).

(٣) الإسراء الآية (٧٨).

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة بني إسرائيل (٣٠٦٠) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه في كتاب الصلاة باب وقت صلاة الفجر (٦٦٢)، وأحمد في كتاب باقي مسند المكثرين باب باقي المسند السابق (٩٧٤٩).

(٥) انظر تفسير الطبري (١٥/١٣٩-١٤٠)، وابن كثير في تفسيره (٣/٥٥).

(٦) انظر تفسير الطبري (١٥/١٤٠).

(٧) انظر تفسير الطبري (١٥/١٤٠).

(٨) تقدم.

ما لا يرى طرفاه، يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ويؤمّنون على دعائه»[١].

وأخرج سعيد بن منصور: عن سعيد بن المُسَيَّب قال: «إذا أقام الرّجل الصّلاة وهو في فلاةٍ من الأرض صلّى خلفه مَلَكان، فإن أَذّن وأقام صلّى خلفه من الملائكة أمثال الجبال»[٢].

وأخرج سعيد بن منصور: عن مكحول قال: «من أقام الصّلاة صلّى معه مَلَكان، فإن أذّن وأقام صلّى خلفه سبعون مَلَكاً»[٣].

دلّت هذه الآثار على أنّ الملائكة يصلّون خلفنا صلاتنا، وذلك دليل على أنّهم مكلّفون بشرعنا.

ويرشّح ذلك فرعان نصّ عليهما أصحابنا:

الأوّل: ما ذكره السُّبْكي في الحَلَبِيَّات: إنّ الجماعة تحصل بالملائكة كما تحصل بالآدميِّين، قال: وبعد أن قلت ذلك بحثاً رأيته منقولاً، ففي فتاوى الحناطي من أصحابنا: مَن صلّى في فضاءٍ من الأرض بأذانٍ وإقامةٍ وكان منفرداً ثمّ حَلَف أنّه صلّى بالجماعة هل يحْنَث أوْ لا؟.

فأجاب: بأنّه يكون باراً في يمينه ولا كفّارة عليه[٤]، لما روي: أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «مَن أذّن وأقام في فضاءٍ من الأرض وصلّى وحده صلّت الملائكة خلفه صفوفاً»[٥] فإذا حَلَف على هذا المعنى لا يحنث.

---

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

(٣) أخرجه السيوطي في تنوير الحوالك (٧٢/١) وعزاه إلى سعيد بن منصور في سننه.
وفي رواية أخرى أخرجها عبد الرزاق في المصنف (٥١٠/١)، عن عبد الله بن عمر قال: إذا كان الرجل بفلاة من الأرض فأذن وأقام وصلى، صلى معه أربعة الآف من الملائكة، أو أربعة الآف ألف من الملائكة. وفي رواية أخرى: عن ابن طاوس عن أبيه: ... صلى معه من الملائكة كثير.
وفي رواية أخرى أيضا عن مكحول: ... صلى معه من الملائكة ما شهد الأرض.

(٤) انظر شرح الزرقاني على الموطأ (٢٢٢/١)، والسيوطي في تنوير الحوالك (٧٢/١).

(٥) تقدم.

قال السُّبْكي: وينبني على ذلك أنّ مَن ترك الجماعة لغير عذرٍ وقلنا بأنّها فرض عينٍ هل نقول يجب القضاء كمن صلّى فاقِد الطُّهورَيْن؟ فإن كان كذلك فصلاة الملائكة إن قلنا بأنّها كصلاة الآدميّين وأنّها تصير بها جماعة فقد يقال: إنّها تكفي لسقوط القضاء.

الفرع الثّاني: قول الأصحاب: إنّه يستحبّ للمصلّي إذا سلّم أن ينوي السّلام على مَن على يمينه ويساره من ملائكةٍ وإنسٍ وجنٍّ.

الدّليل السّادس: ما أخرجه البزّار: عن عليٍّ قال: «لمّا أراد الله أن يعَلِّم رسوله الأذان أتاه جبريل بدابّةٍ يقال لها البُراق» ... فذكر الحديث إلى أن قال: «خرج مَلَك من الحجاب فقال المَلَك: الله أكبر الله أكبر، إلى أن قال: فقال: أشهد أنّ محمّداً رسول الله، إلى أن قال: ثمّ أخذ المَلَك بيد محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم فقدّمه فأَمَّ أهل السّماء فيومئذٍ أكمل الله لمحمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم الشّرف على أهل السموات والأرض»(١).

وأخرج أبو نعيم في دلائل النّبوّة: عن محمّد بن الحنفيّة مِثْله وفيه: «فقال المَلَك: حيّ على الصّلاة، فقال الله: صدق عبدي دعا إلى فريضتي، إلى أن قال: ثمّ قيل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم: تقدّم، فتقدّم فأَمَّ أهل السّماء فتَمّ له شرفه على سائر الخلق»(٢).

في هذا دلالة على إرساله إلى الملائكة من أربعة أوجه:

الأوّل: شهادة المَلَك بالرّسالة مطلقاً حيث قال: «أشهد أنّ محمّداً رسول الله».

الثّاني: قول الله في دعاء المَلَك إلى الصّلاة: «دعا إلى فريضتي» فإنّ ذلك يدلّ على أنّها فُرضت على أهل السّماء كما فُرضت على أهل الأرض.

الثّالث: إمامته لأهل السّموات وصلاة الملائكة بأسرهم خلفه، وذلك دليلٌ على اتّباعهم له وكونهم من جملة أتباعه.

---

(١) أخرجه البزار في مسنده (٥٠٨) وقال: هذا الحديث لا نعلمه يروى بهذا اللفظ عن علي إلا بهذا الإسناد، وزياد بن المنذر فيه شيعية، وقد روى عنه مروان بن معاوية وغيره، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/٣٢٨-٣٢٩) وقال: رواه البزار وفيه زياد بن المنذر وهو مجمع على ضعفه، والسيوطي في الدر المنثور (٥/٢٢٠) وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) انظر الدر المنثور (٥/٢٢٠) وعزاه إلى ابن مردويه.

الرّابع: قوله: «فيومئذٍ أكمل الله لمحمّد الشّرف على أهل السّموات» وإكمال الشّرف له ببعثه إليهم وكونهم أتباعاً له، وكأنّه في هذا الوقت أُرسل إليهم ولم يكن أُرسل إليهم قبل ذلك.

ويرشّح ذلك أمر خامس وهو: القرآن بين أهل السّماء وأهل الأرض في الذّكر، فكما كان شرفه على أهل الأرض بإرساله إليهم أجمعين فكذلك شرفه على أهل السّموات بإرساله إليهم أجمعين.

وكذا قوله في الرّواية الأخرى: «فتمّ له شرفه على سائر الخلق» وسائر في اللّغة بمعنى الباقي، فكأنّ معنى الحديث: إنّه كان له شرفٌ على الثّقلين بإرساله إليهم ولم يكن أُرسل إلى الملائكة، فلمّا أُرسل إليهم تمّ له الشّرف على مَن بقي من الخلق وهم الملائكة.

وأخرج ابن مردويه: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لمّا أُسْرِي بي إلى السّماء أَذّن جبريل فظنّت الملائكة أنّه يصلّي بهم فقدّمني فصلّيت بالملائكة»(١).

الدّليل السّابع: ما أخرجه أبو نعيم في الحِلْيَة: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «نزل آدم بالهند واستوحش، فنزل جبريل فنادى بالأذان الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله مرّتين، أشهد أنّ محمّداً رسول الله مرّتين»(٢).

فهذه شهادةٌ من جبريل برسالة محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم وعلّمها لآدم فدلّ ذلك على أنّه صلّى الله عليه وسلّم رسول إلى الأنبياء والملائكة معاً.

الدّليل الثّامن: ما ورد من حديث عمر بن الخطاب، وأنس، وجابر، وابن عبّاس، وابن عمر، وأبي الدَّرْداء، وأبي هريرة وغيرهم: «أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أَخبر أنّه مكتوبٌ على العرش وعلى كلّ سماءٍ وعلى باب الجنّة وعلى أوراق شجر الجنّة: لا إله إلا

---

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٢٢٠/٥) وعزاه إلى ابن مردويه، والديلمي في الفردوس (٤٢٠/١)، وابن حجر في فتح الباري (٧٨/٢) وقال: وفيه من لا يعرف.

(٢) أخرجه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٢٧١/٤).

الله محمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم»[١].

فما كتب ذلك في الملكوت إلا على دون أسماء سائر الأنبياء إلا لتشهد به الملائكة وكونه مُرسَلاً إليهم.

وقد أخرج ابن عساكر: عن كعب الأحبار: «أنّ آدم أوصى ابنه شِيث فقال: كلمّا ذكرت الله فاذكر إلى جنبه اسم محمّد، فإنّي رأيت اسمه مكتوباً على ساق العرش وأنا بين الرّوح والطّين، ثمّ إنّي طفت فلم أر في السّماء موضعاً إلا رأيت اسم محمّدٍ مكتوباً عليه، ولم أر في الجنّة قصراً ولا غُرفةً إلا اسم محمّدٍ مكتوباً عليه، ولقد رأيت اسم محمّدٍ مكتوباً على نُحُور الحُور العِين، وعلى ورق قصب آجام الجنّة، وعلى ورق شجرة طوبى، وعلى ورق سِدرة المُنْتَهى، وعلى أطراف الحُجُب وبين أعْيُن الملائكة، فأَكْثِر ذِكْره فإنّ الملائكة تذكره في كلّ ساعاتها»[٢].

فهذا يدلّ على أنّه نبيّ الملائكة حيث لم تغفل عن ذِكره، واستفدنا من هذا الأثر فائدة لطيفة وهو أنّه صلّى الله عليه وسلّم أُرسِل إلى الحُور العِين والوِلْدان، ووضّح بذلك أنّه لم يدخل الجنّة أحدٌ ولم يستقرّ بها ممّن خُلِق فيها إلا مَن آمن به صلّى الله عليه وسلّم.

ولعلّ من جملة فوائد الإسراء ودخوله إلى الجنّة تبليغ جميع مَن في السّموات من الملائكة ومَن في الجِنان من الحُور والوِلْدان ومَن في البَرْزَخ من الأنبياء رسالته ليؤمنوا به ويصدّقوه مشافهةً في زمنه بعد أن كانوا مؤمنين به قبل وجوده.

الدّليل التّاسع: قد صرّح السُّبْكي في تأليفٍ له بأنّه صلّى الله عليه وسلّم أُرسِل إلى جميع الأنبياء آدم فمن بعده، وأنّه صلّى الله عليه وسلم نبيّ عليهم ورسوله إلى جميعهم.

واستدلّ على ذلك بقوله صلّى الله عليه وسلّم: «كنت نبياً وآدم بين الرّوح والجسد»[٣]،

---

(١) أخرج الشامي في سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٨٦/١) عن ميسرة بلفظ قريب وقال: رواه ابن الجوزي بسند جيد لا بأس به.

(٢) انظر تهذيب تاريخ دمشق الكبير للشيخ عبد القادر بدران (٣٥٩/٦).

(٣) تقدم.

وقوله صلّى الله عليه وسلم: «بُعِثْت إلى النّاس كافّة»[١].

قال: ولهذا أخذ الله المواثيق له على الأنبياء كما قال الله تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيّين لما آتيتكم من كتابٍ وحكمة ثمّ جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين)[٢].

قلت: أخرج ابن أبي حاتم: عن السّدي: في الآية قال: «لم يُبعث نبيّ قط من لَدُن نوح إلا أخذ الله ميثاقه ليؤمِنُنّ بمحمّد»[٣].

وأخرج ابن عساكر: عن ابن عبّاس قال: «لم يزل الله يتقدّم في النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى آدم فمَن بعده، ولم تزل الأُمم تتباشر به وتستفتح به».

وأخرج الحاكم: عن ابن عبّاس قال: «أوحى الله إلى عيسى آمن بمحمّد ومُرْ مَن أدركه من أمّتك أن يؤمنوا به، فلولا محمّد ما خلقت آدم ولا الجنّة ولا النّار»[٤].

قال السّبْكي: عَرَفْنا بالخبر الصّحيح حصول الكمال من قبل خلق آدم لنبيّنا صلّى الله عليه وسلّم من ربّه سبحانه، وأنّه أعطاه النّبوّة من ذلك الوقت ثمّ أخذ له المواثيق على الأنبياء ليَعْلَموا أنّه المقَدَّم عليهم أنّه نبيّهم ورسولهم، وفي أَخْذ المواثيق وهي في معنى الاستخلاف، ولذلك دخلت لام القَسَم في لَتؤْمِنُنَّ به ولَتنصُرُنَّه.

لطيفة أخرى

وهي كأنّها أيْمان البَيْعة التي تؤخذ للخلفاء، ولعلّ أيْمان الخلفاء أُخِذَت من هنا، فانظر هذا التّعظيم العظيم للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم من ربّه.

---

(١) تقدم.

(٢) آل عمران الآية (٨١).

(٣) انظر تفسير الطبري (٣٣٢/٣)، وابن تيمية في دقائق التفسير (٣٣٣/١-٣٣٤-٣٣٥).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٢٢٧) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: أظنه موضوعا على سعيد، والشامي في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٧٤/١) وقال: ولبعضه شاهد من حديث عمر بن الخطاب وقد تقدم.

فإذا عَرَفْت ذلك فالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم هو نبيُّ الأنبياء، ولهذا ظهر ذلك في الآخرة جميع الأنبياء تحت لوائه[1]، وفي الدّنيا كذلك ليلة الإسراء صلّى بهم[2]، ولو اتّفق مجيئه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى أُمَمهم الإيمان به ونُصْرَته وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم، فنبوّته عليهم ورسالته إليهم معنى حاصل له[3]، وإنّما أمْرُه يتوقّف على اجتماعهم معه فتأخّر ذلك لأمرٍ راجعٍ إلى وجودهم لا إلى عدم اتّصافه بما يقتضيه.

وفَرْقٌ بين توقّف الفعل على قَبول المحلّ وتوقّفه على أهليّة الفاعل، فهنا لا توقّف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الشّريفة، وإنّما هو من جهة وجود العصر المشتمِل عليه، فلو وُجد في عصرهم لزمهم اتّباعه بلا شكٍّ، ولهذا يأتي عيسى في آخر الزّمان على شريعته، ويتعلّق به ما فيها من أمْرٍ ونَهْيٍ كما يتعلّق بسائر الأُمّة، وهو نبيٌّ كريمٌ على حاله لم يَنْقُص منه شيءٌ.

وكذلك لو بُعِث النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في زمانه أو في زمان موسى وإبراهيم ونوح وآدم كانوا مستمرّين على نبوّتهم ورسالتهم إلى أُمَمهم، والنّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم نبيٌّ عليهم ورسولٌ إلى جمعيهم، فنبوّته ورسالته أعمّ وأشمل وأعظم وتتّفق مع شرائعهم في

---

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

(٣) أخرج أحمد في مسنده في كتاب باقي مسند المكثرين باب مسند جابر بن عبد الله (١٤١٠٤)، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء؛ فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، فإنكم إما أن تصدقوا بباطل أو تكذبوا بحق؛ فإنه لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني.

وفي رواية أخرى: في كتاب باقي مسند المكثرين باب باقي المسند السابق (١٤٦٢٣)، عن جابر بن عبد الله: أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم فغضب فقال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى صلى الله عليه وسلم كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني.

الأصول لأنّها لا تختلف.

وتقدّم شريعته فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع، إمّا على سبيل التّخصيص، وإمّا على سبيل النّسخ، أو لا نسخ ولا تخصيص، بل تكون شريعة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في تلك الأوقات بالنّسبة إلى أولئك الأُمم ما جاءت به أنبياؤهم.

وفي هذا الوقت بالنّسبة إلى هذه الأمّة هذه الشّريعة، والأحكام تختلف باختلاف الأشخاص والأوقات انتهى كلام السّبْكي[١].

قلت: ويدل لكونه مرسَلاً إلى الأنبياء ما ورد من حديث عُبادة بن الصّامت، وجابر بن عبد الله مرفوعاً: «كان نقْشُ خاتَم سليمان بن داود لا إله إلا الله محمّد رسول الله»[٢].

فهذا فيه إشارة إلى أنّهم من أتباعه، وهذا التّقرير الذي قرّره السّبْكي قد أشار إليه الشّرف البُوصِيرِي، وقد مات قبل مولد السّبْكي بقوله في البُرْدَة:

وكلّ آيٍ أتى الرّسل الكرام بها فإنّما اتّصلت من نوره بهم

فإنّه شمسُ فضلٍ هم كواكبها يُظهِرون أنوارها للنّاس في الظُّلَم

إذا تقرّر أنّه صلّى الله عليه وسلّم كان نبيّ الأنبياء ورسولاً إليهم، وقد قامت الأدلّة على أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة لزم أن يكون مرسَلاً إلى الملائكة، وأن يكونوا من جملة أتباعه بطريق الأَوْلى.

الدّليل العاشر: أنّه صلّى الله عليه وسلّم أُعْطي من الملائكة أموراً لم يعطَها أحدٌ من الأنبياء:

منها: قتالهم معه[٣].

---

(١) تقدم في الرسالة الثالثة: التعظيم والمنة في لتؤمنن به ولتنصرنه.

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٢/٥) وقال: رواه الطبراني وفيه محمد بن مخلد الرعيني وهو ضعيف جدا، والطبراني في مسند الشاميين (٧٠٣)، والخلال في السنة (٢٠١) وقال: حديث موضوع باطل لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٣) تقدم.

ومنها: مَشْيِهم خلف ظهره إذا مشى[١].

وذلك يدلّ على أنّهم من جملة أتباعه وداخلون في شرعه.

ومن كلام الرّافعي في خطبة المحرّر: وأخدمته الملائك.

وقال ابن عبّاس في قوله تعالى: «(له معقّبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله)[٢] هذه للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم خاصّة، والمعَقِّبات: الملائكة يحفظون محمّداً صلّى الله عليه وسلّم». أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطّبراني، وابن مُرْدَوَيْه، وأبو نعيم في الدّلائل[٣].

ومنها: ما ورد في الحديث: «إنّ الله أيّدني بأربعة وزراء: اثنين من أهل السّماء جبريل وميكائيل، واثنين من أهل الأرض أبي بكر وعمر»[٤].

والوزير من اتباع المَلِك ضرورة، فجبريل وميكائيل رؤوس أهل مِلّته من الملائكة، كما أنّ أبا بكر وعمر رؤوس أهل مِلّته من بني آدم.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب المقدمة باب من كره أن يوطأ عقباه (٢٤٢)، وأحمد في كتاب باقي مسند المكثرين باب مسند جابر بن عبد الله (١٣٧١٩-١٤٠٢٩)، وفي باب باقي المسند السابق

(١٤٧٤٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٣١٢)، والهيثمي في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (٢٠٩٩)، والحاكم في المستدرك (٣٥٤٤) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والذهبي في التلخيص وقال: صحيح، عن جابر بن عبد الله قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا مشى مشى أصحابه أمامه وتركوا ظهره للملائكة. واللفظ لابن ماجه.

(٢) الرعد الآية (١١).

(٣) انظر تفسير الطبري (٤/٤٣٤)، وتفسير ابن كثير (٢٩/١٢٢)، وفتح القدير للشوكاني (٥/٣١٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه، والطبراني في الكبير (١٢٧٨٩)، وابن حجر في فتح الباري (٨/٣٧٢) وقال: رواه الطبري بإسناد حسن.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١١٤٢٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٥١) وقال: رواه الطبراني وفيه محمد بن محبب الثقفي وهو كذاب، ورواه وفيه عبد الرحمن بن مالك بن مغول وهو كذاب.

ومنها: أنّه لمّا مات صلّى الله عليه وسلّم صلّى عليه الملائكة بأسرهم لم يتخلّف منهم أحد، ولم يقع ذلك لغيره من الأنبياء(١).

ومنها: أنّ الملائكة يسألون الموتى في قبورهم عنه صلّى الله عليه وسلّم، ولم يكن ذلك لأحدٍ من الأنبياء سواه(٢).

ومنها: أنّ الملائكة تحضر أمّته إذا قاتلت العدوّ في سبيل الله لنُصْرَة دينه، وهذه خِصِّيصة مستمرّة إلى يوم القيامة.

ومنها: أنّ جبريل عليه السّلام يحضر مَن مات من أمّته ليطرد عنه الشّيطان في تلك الحالة(٣).

---

(١) أخرجه البزار في مسنده (٢٠٢٨)، الطبراني في المعجم الأوسط (٣٩٩٦)، وابن حجر في المطالب العالية (٤٣٩٢) وقال المحشي حبيب الرحمن الأعظمي: رواه البزار في مسنده بسند رواته ثقات، عن ابن مسعود: وفيه إذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا، على شفير قبري هذا، ثم اخرجوا عني ساعة، فأول من يصلي علي خليلي وحبيبي جبريل، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم ملك الموت وجنوده من الملائكة أجمعها ... .

وفي رواية أخرى: أخرجها الطبراني في المعجم الكبير (٢٦٧٦)، والهيثمي مجمع الزوائد (٩/٣١) وقال: رواه الطبراني وفيه عبد المنعم بن إدريس وهو كذاب وضاع، عن جابر وابن عباس: ... فأول من صلى عليه الرب تعالى من فوق عرشه، ثم جبريل، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم الملائكة زمرا زمرا.

(٢) أخرج البخاري في كتاب الجنائز باب الميت يسمع خفق النعال (١٢٥٢)، وفي باب ما جاء في عذاب القبر (١٢٨٥)، عن أنس رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: العبد إذا وضع في قبره وتولي وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم، فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: فيراهما جميعا، وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين.

(٣) أخرج الزيلعي في نصب الراية (٢/٢٥٤) وعزاه إلى أبي نعيم في الحلية، عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة، فإن الشيطان أقرب ما يكون من ابن آدم ذلك المصرع.

ومنها: أنّ الملائكة تنزل في كلّ سنةٍ ليلة القدر على أمّته وتُسَلِّم عليهم.

ومنها: أنّها أُعْطِيَت قراءة سورة الفاتحة من كتابه ولم تعط قراءة شيءٍ من سائر الكتب، وهي حريصة على سَماع بقيّة القرآن من الإنس دون سائر الكتب.

ومنها: أنّه نزل إليه صلّى الله عليه وسلّم في حياته من الملائكة ما لم ينزل إلى الأرض منذ خَلَق كإسرافيل(١).

---

(١) **أولهم وأكثرهم جبريل:** فقد رافق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من صغره إلى مماته.

وكان يلقاه كل يوم في رمضان: كما أخرج البخاري في كتاب الصوم باب أجود ما يكون النبي (١٧٦٩)، وفي كتاب المناقب باب صفة النبي (٣٢٩٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة.

ورآه على حقيقته: كما أخرج مسلم في كتاب الإيمان باب بدء الوحي (٢٣٣)، قال جابر: أحدثكم ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر أحدا، ثم نوديت فنظرت فلم أر أحدا، ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء يعني جبريل عليه السلام، فأخذتني رجفة شديدة ...الخ.

وكان يأتي كذلك بصورة رجل غريب: كما ورد في حديث مسلم في كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإحسان (٩)، ... طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، ثم قال صلى الله تعلى عليه وسلم لعمر: أتدري من السائل؟، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم.

وكان يأتي أيضا بصورة دحية الكلبي: كما أخرج أحمد في كتاب باقي مسند الأنصار باب باقي المسند السابق (٢٣٩٧٨)، عن عائشة قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا يديه على معرفة فرس وهو يكلم رجلا قلت: رأيتك واضعا يديك على معرفة فرس دحية الكلبي وأنت تكلمه، قال: ورأيتيه، قالت: نعم، قال: ذاك جبريل عليه السلام وهو يقرئك السلام، قالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، جزاه الله خيرا من صاحب ودخيل، فنعم الصاحب، ونعم الدخيل. قال سفيان: الدخيل: الضيف.

وروى البخاري في كتاب المناقب باب علامات النبوة (٣٣٦٢)، حدثنا أبو عثمان قال: أنبئت أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة، فجعل يحدث ثم قام فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأم سلمة: من هذا؟ أو كما قال، قال: قالت: هذا دحية ... .

وقاتل معه جبريل وميكائيل: أخرج مسلم في كتاب الفضائل باب في قتال جبريل وميكائيل (٤٢٦٤-٤٢٦٥)، عن سعد قال: رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض ما رأيتهما قبل ولا بعد، يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام.

وقاتل معه إسرافيل: أخرج أحمد في كتاب باب مسند العشرة المبشرين بالجنة باب ومن مسند علي بن أبي طالب (١١٩٢)، عن علي قال: قيل لعلي ولأبي بكر يوم بدر: مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال، أو قال يشهد الصف.

والتقى أيضا ﷺ بمالك خازن النار، فسلم مالك على النبي ﷺ كما تقدم من حديث مسلم.

وبُعث إليه ملك الجبال: أخرج البخاري في كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة (٢٩٩٢)، ومسلم في كتاب الجهاد باب ما لقي النبي من أذى (٣٣٥٢)، عن ابن شهاب قال: حدثني عروة أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟، قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد، فقال ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا.

واستأذن ملك المطر ربه لزيارة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: أخرج أحمد في كتاب باقي مسند المكثرين باب باقي المسند السابق (١٣٢٩٣-١٣٠٥٠)، وابن حبان في صحيحه (٦٧٤٢) وقال المحشي: حديث حسن، والهيثمي في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (٢٢٤١)، عن أنس قال: استأذن ملك المطر أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فأذن له، فقال لأم سلمة: احفظي علينا الباب لا يدخل أحد، فجاء الحسين بن علي رضي الله عنها فوثب حتى دخل، فجعل يصعد على منكب النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له الملك: أتحبه؟، قال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم، قال: فإن أمتك تقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه، قال: فضرب بيده فأراه ترابا أحمر فأخذت أم سلمة ذلك التراب فصرته في طرف ثوبها، قال: فكنا نسمع يقتل بكربلاء. واللفظ لأحمد.

ومنهم من لم يعرف من الملائكة اسمه وعرفت صفته واسم فرسه حيزوم: أخرج مسلم في كتاب الجهاد باب الإمداد بالملائكة (٣٣٠٩)، عن عمر بن الخطاب ... فبينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخْضرّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة.

ومنها: أنّ ملك الموت استأذن عليه ولم يستأذن على نبيٍّ قبله[(١)].

ومنها: أنّه وُكِّلَ بقبره الشّريف مَلَك يبلّغه سلام مَن يصلّي عليه[(٢)].

ومنهم من لم يعرف من الملائكة اسمه ولا صفته: أخرج مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب فضل الفاتحة (١٣٣٩)، عن ابن عباس قال: بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته.

وأخرج ابن حبان في صحيحه (٦٩٦٠) وقال المحشي: إسناده صحيح، والهيثمي في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (٢٢٢٩)، عن حذيفة قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فصليت معه المغرب، ثم قام يصلي حتى صلى العشاء، ثم خرج فاتبعته، فقال: عرض لي ملك استأذن ربه أن يسلم علي، وبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

ومنهم من عرف وصفه ولم يعرف اسمه ولا صفته: وكان رجلاً أجلح من أحسن الناس وجها، وقد تقدم الحديث.

وقاتل غيرهم من الملائكة من لم يعرف اسمه في الغزوات: كبدر، وحنين، والخندق، وقريظة وغيرها، من الألف والثلاثة آلاف والخمسة آلاف من الملائكة وغيرهم.

(١) أخرج البيهقي في دلائل النبوة (٧/٢١١)، والشّامي في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد

(١٢/٢٦٣-٢٦٤) وقال: روي معضلا ومرسلا وموصولا ورجاله ثقات، والطبراني في الكبير (٢٨٩٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٣٤-٣٥) وقال: رواه الطبراني وفيه عبد الله بن ميمون القداح وهو ذاهب الحديث، والشافعي في السنن المأثورة (١/٣٣٥)، الحديث وفيه ... وفي اليوم الثالث في المرة الثالثة جاء جبريل فقال: إن الله أرسلني إليك إكراما لك، وتفضيلا لك، وخاصة لك، يسألك عما هو أعلم به منك يقول: كيف تجدك؟، قال: أجدني يا جبريل مغموما، وأجدني يا جبريل مكروبا، قال: واستأذن ملك الموت على الباب، فقال له جبريل: يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على آدميّ قبلك، ولا يستأذن على آدميّ بعدك، فقال: ائذن له يا جبريل، فقال: عليك السلام يا أحمد، إن الله أرسلني إليك، وأمرني أن أطيعك فيما أمرتني، إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها، وإن أمرتني أن أتركها تركتها، قال: وتفعل ذلك يا ملك الموت، قال: نعم بذلك أمرت، قال جبريل: يا أحمد إن الله قد اشتاق إلى لقائك، قال: يا ملك الموت امض لما أمرت به.

(٢) أخرج النسائي في كتاب السهو باب السلام على النبي (١٢٦٥)، وأحمد في كتاب مسند المكثرين من الصحابة باب مسند عبد الله بن مسعود (٣٤٨٤-٣٩٩٣-٤٠٩٣)، والدارمي في

ومنها: أنّه ينزل على قبره الشّريف كلّ يومٍ سبعون ألف مَلَك يضربونه بأجنحتهم ويحفُّون به ويستغفرون له ويصلّون عليه كلّ يومٍ إلى أن يُمْسوا، فإذا أمْسوا عرجوا وهبط سبعون ألف مَلَك كذلك حتى يصبحوا إلى أن تقوم السّاعة، فإذا كان يوم القيامة خرج ﷺ في سبعين ألف مَلَك. أخرجه ابن المبارك في الزّهد عن كعب الأحبار[1].

خاتمة: في كشف الأسرار لابن العِماد حكاية: أنّ آدم عليه السّلام أُرسِل إلى الملائكة لينبئهم بما عُلِّم من الأسماء.

فإن صحّ ذلك كان أحد الأدلّة على إرساله صلّى الله عليه وسلّم إليهم؛ لأنّه ما أُوتي نبيٌّ فضيلةً إلا أُوتي نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم مثلها أو نظيرها[2]، وهذه القاعدة كالمُجْمَع عليها، وممّن نصّ عليها الإمام الشّافعي رضي الله عنه.

والحمد لله وحده.

كتاب الرقاق باب في فضل الصلاة على النبي (٢٦٥٥)، عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام.

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/٥٥٨)، وفي رواية للدارمي في كتاب المقدمة باب ما أكرم الله تعالى نبيه (٩٤)، عن نبيه بن وهب: أن كعبا دخل على عائشة فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب: ما من يوم يطلع إلا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفوا بقبر النبي صلى الله عليه وسلم يضربون بأجنحتهم ويصلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم، فصنعوا مثل ذلك حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفا من الملائكة يزفونه.

(٢) عنون الشامي في كتابه سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١٠/ ٢٦٤...٤٤٧)، والشيخ عبد الله التليدي في تهذيب الخصائص النبوية الكبرى (٣٤٦...٣٩٩)، وغيرهم، موازنة بين فضائل الأنبياء وخصائصهم، وبين فضائل النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه، وكذلك الخصائص التي اختص بها وفضّل على جميع الأنبياء.



فهرس المصادر والمراجع

أ

١- الآحاد والمثاني- أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني، دار الراية الرياض السعودية الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ١٩٩١ م.

٢- آكام المرجان في أحكام الجان- بدر الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الشبلي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ .

٣- الأحاديث المختارة- أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي، مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة السعودية الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

٤- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام- تقي الدين ابن دقيق العيد، دار ابن حزم بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ .

٥- الأدب المفرد- محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار البشائر الإسلامية بيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

ب

٦- البداية والنهاية- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف بيروت لبنان.

٧- البيان والتعريف- إبراهيم بن محمد الحسيني، دار الكتاب العربي بيروت لبنان ١٤٠١هـ.

ت

٨- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي- محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٩- الترغيب والترهيب- عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

١٠- تفسير البغوي المسمى بـ: معالم التنزيل- الحسين بن مسعود الفراء البغوي أبو محمد، دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ .

١١- تفسير البيضاوي المسمى بـ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل- ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، دار الفكر بيروت لبنان ١٤١٦ هـ .

١٢- تفسير الثعالبي المعروف بـ: الجواهر الحسان في تفسير القرآن- عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان.

١٣- تفسير الجلالين- عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، ومحمد بن أحمد المحلي، دار الحديث القاهرة الطبعة الأولى.

١٤- تفسير أبي السعود المسمى بـ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم- محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

١٥- تفسير الطبري المسمى بـ: جامع البيان في تفسير القرآن- محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار الفكر بيروت لبنان الطبعة

الأولى ١٤٠٥ هـ .

١٦- تفسير القرآن العظيم المعروف بـ: تفسير ابن كثير- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار الفكر بيروت لبنان ١٤٠١ هـ.

١٧- تفسير القرطبي المسمى بـ: الجامع لأحكام القرآن- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ١٤٠٥هـ.

١٨- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب- فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

١٩- تفسير النسفي المسمى بـ: القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل- عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.

٢٠- تفسير الواحدي المسمى بـ: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن، دار القلم دمشق سوريا والدار الشامية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ .

٢١- التمهيد- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب ١٣٨٧هـ.

٢٢- تنوير الحوالك- عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، المكتبة التجارية الكبرى مصر ١٣٨٩ هـ .

٢٣- تهذيب تاريخ دمشق الكبير- هذَّبه عبد القادر بدران، دار المسيرة بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ.

٢٤- تهذيب الخصائص النبوية الكبرى- هذّبه عبد الله التليدي، دار البشائر الإسلامية بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ.

ح

٢٥- الحاوي للفتاوي- عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

د

٢٦- الدر المنثور في التفسير المأثور- عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، دار الفكر بيروت لبنان ١٩٩٣ م.

٢٧- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مؤسسة علوم القرآن دمشق سوريا الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ.

٢٨- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة- أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .

٢٩- الديباج- عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، دار ابن عفان الخبر السعودية ١٤١٦ هـ .

ذ

٣٠- ذيل تذكرة الحفاظ- أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان

ر

٣١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- محمود الآلوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

ز

٣٢- زاد المسير في علم التفسير- عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي بيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ .

٣٣- الزهد- عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

س

٣٤- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد- محمد بن يوسف الصالحي الشامي، جمع وترتيب خالبد عبد الفتاح شبل أبو سليمان، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤١٨ هـ .

٣٥- سنن الترمذي - محمد بن عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

٣٦- سنن الدارمي- عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، دار الكتاب العربي الطبعة الأولى بيروت لبنان ١٤٠٧هـ.

٣٧- سنن أبي داود- سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر بيروت لبنان.

٣٨- السنن الكبرى - أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار الفكر

بيروت لبنان.

٣٩- سنن ابن ماجه- محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، دار الفكر بيروت لبنان.

٤٠- سنن النسائي- أحمد بن شعيب النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب سوريا الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٤١- السنة- أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال أبو بكر، دار الراية الرياض الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ .

٤٢- السنة- عمرو ابن أبي عاصم الضحاك الشيباني، المكتب الإسلامي بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ .

ش

٤٣- شرح الزرقاني على الموطأ- محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١١ هـ .

٤٤- شرح صحيح مسلم المسمى بـ: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج- أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

٤٥- شرح منظومة رسم المفتي- محمد أمين بن عمر عابدين الشهير بابن عابدين الحنفي، دار البشائر الإسلامية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ .

٤٦- شعب الإيمان- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٤٧- الشفا بتعريف حقوق المصطفى- أبي الفضل عياض اليحصبي، دار الكتب

العلمية بيروت لبنان.

ص

٤٨- الصحاح- إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين بيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ.

٤٩- صحيح البخاري المسمى بـ: الجامع الصحيح- محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار ابن كثير اليمامة الطبعة الثالثة بيروت لبنان ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٥٠- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان- علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

٥١- صحيح مسلم- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

ط

٥٢- طبقات الحفاظ- عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.

ع

٥٣- العظمة- عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني أبو محمد، دار العاصمة الرياض السعودية الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ .

٥٤- العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية- محمد أمين بن عمر عابدين الشهير بابن عابدين الحنفي، دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة الثانية.

٥٥- العلل المتناهية- عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دارالكتب العلمية بيروت

لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.

٥٦- عمدة الأحكام- (متن على كتاب إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام) عماد الدين ابن الأثير الحلبي، دار ابن حزم بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.

٥٧- عون المعبود شرح سنن أبي داود- محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

ف

٥٨- فتاوى السبكي- أبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، دارالمعرفة بيروت لبنان.

٥٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة بيروت لبنان ١٣٧٩هـ.

٦٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير- محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر بيروت لبنان.

٦١- الفردوس بمأثور الخطاب- أبي شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي الهمذاني، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

٦٢- الفصل في الملل والأهواء والنِّحَل- أبي محمد علي بن أحمد المعروف بـ: ابن حزم الظاهري، دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٠٦ هـ.

٦٣- فيض القدير شرح الجامع الصغير- عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى مصر الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.

ك

٦٤- كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد- إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ .

٦٥- كتاب أصول الدين- أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ .

٦٦- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس- إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

ل

٦٧- لقط المرجان في أحكام الجان- عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .

م

٦٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد- علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي القاهرة مصر بيروت لبنان ١٤٠٧هـ.

٦٩- المستدرك على الصحيحين- محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٧٠- مسند أحمد- أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة مصر.

٧١- مسند البزار- أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، مؤسسة علوم

القرآن بيروت لبنان، ومكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة السعودية الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.

٧٢- مسند الشافعي- محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٧٣- مسند الشاميين- سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ١٩٨٤ م.

٧٤- مسند عبد الله بن عمر- محمد بن إبراهيم الطرسوسي أبو أمية، دار النفائس بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ .

٧٥- مسند أبي عوانة- يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني، دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٩٨ م.

٧٦- مسند أبي يعلى- أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، إدارة العلوم الأثرية فيصل آباد الطبعة باكستان الأولى ١٤٠٧هـ.

٧٧- المسند المستخرج على صحيح مسلم- أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٩٦ م.

٧٨- مصنف ابن أبي شيبة- أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، مكتبة الرشد الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٧٩- مصنف عبد الرزاق- أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المكتب الإسلامي بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٨٠- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ .

٨١- معجم الأوسط- سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، دار الحرمين القاهرة ١٤١٥هـ.

٨٢- معجم الصغير- سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، المكتب الإسلامي بيروت لبنان، ودار عمار عمان الأردن الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٨٣- معجم الكبير- سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مكتبة العلوم والحكم الموصل بغداد الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

٨٤- مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا بتعريف حقوق المصطفى- عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، مؤسسة الكتب الثقافية ودار الجنان بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ .

٨٥- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان- نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مكتبة الرسالة بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م.

٨٦- موطأ مالك- مالك بن أنس الأصبحي، دار إحياء التراث العربي مصر.

٨٧- مسند الطيالسي- أبو داود سليمان بن داود الفارسي البصري الطيالسي، دار المعرفة بيروت لبنان.

ن

٨٨- نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية- جمال الدين عبد الله بن يوسف أبو محمد الزيلعي، دار الحديث مصر ١٣٥٧هـ .

فهرس المحتويات

الرّسالة الأولى: العَلم الظّاهر في نفع النّسب الطّاهر

الرّسالة الثّانية: الدّلالة على عموم الرّسالة

الرّسالة الثّالثة: التّعظيم والمِنّة في لَتُؤمِنُنّ به ولَتَنْصُرُنّه

الرسالة الرابعة: تَزْيِين الأرائك في إرسال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى الملائك